

الباحث عن الحظّ

وَقصص أخرى

الدكتورة غراء حسين مهنّا



مكتبة لبنان ناشرون



إشراف الدكتور علي عبد المنعم عبد الحميد

١٠ (أ)، شارع حسين واصف ، ميدان المساحة ، الدقي ، الجيزة - مصر

مكتبة لبنان ناشرون ش.م.ل

زقاق البلاط - ص.ب : ٩٢٣٢ - ١١
بيروت - لبنان
وكلاء وموزعون في جميع أنحاء العالم

الطبعة الأولى ١٩٩٥

رقم الإيداع ١٩٩٥/٧١٠٢

الترقيم الدولي ISBN ٩٧٧-١٦-٠١٧٨-٤

تصميم الغلاف : أحمد سامي

رسوم : عبد الشافي سيد

طبع في دار نوبار للطباعة ، القاهرة

الينابيع

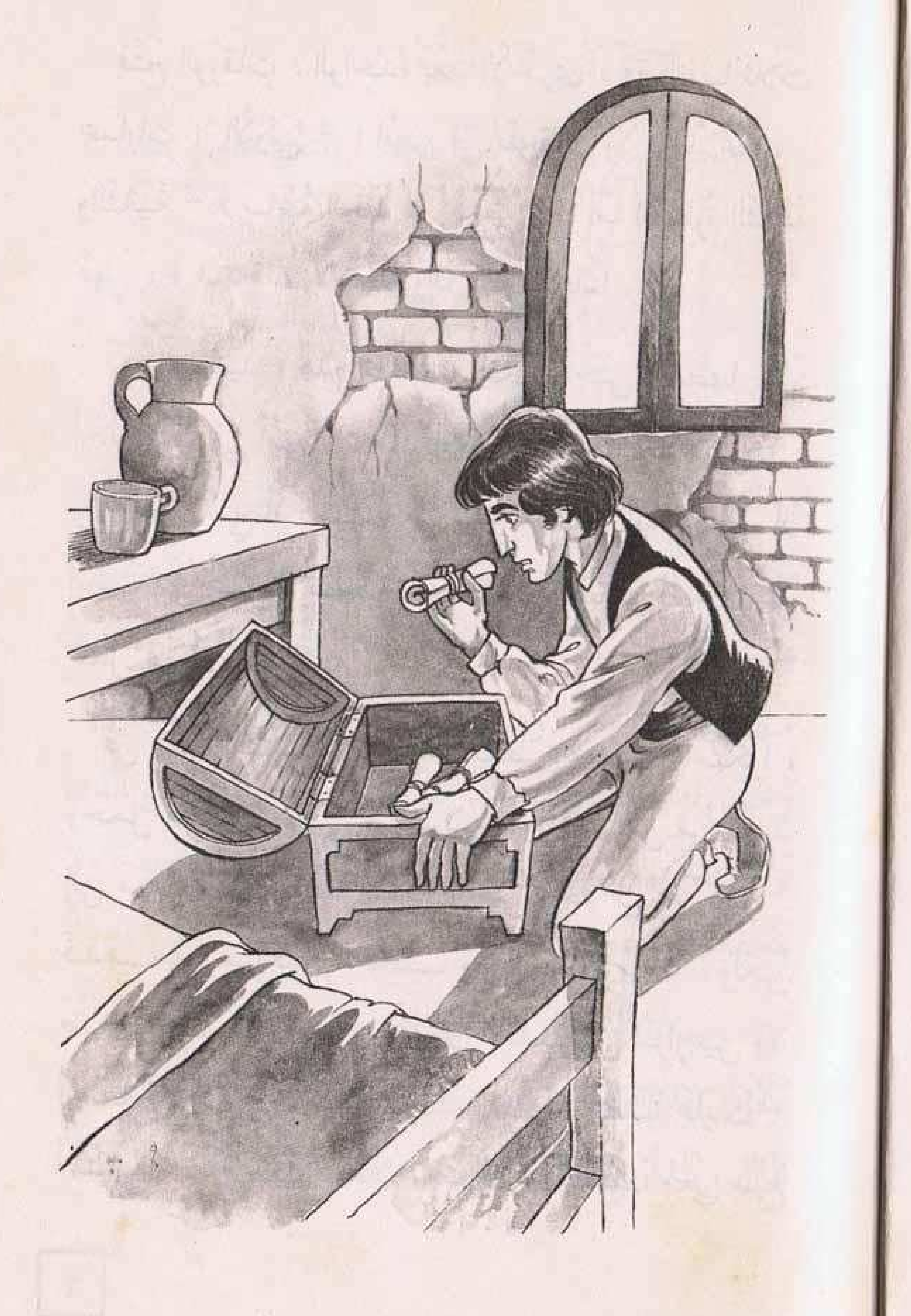
الباحث عن الحظ

وقصص أخرى

الدكتورة غراء حسين مهنا



مكتبة لبنان ناشرون الشركة المصرية العالمية للنشر - لونجمان



العِباراتُ الثّلاثُ

شَعَرَ رَجُلٌ بِدُنُوِّ أجَلِهِ فَاسْتَدْعى ابْنَهُ الوَحيدَ ، وَاسْمُهُ « سعيد » ، وَقالَ لَهُ : « يا بُنَيَّ ، إنَّني رَجُلٌ فَقيرٌ ، لا أمْلِكُ غَيْرَ العَمَلِ الصّالحِ وَالكَلِمَةِ الطَّيِّبَةِ ؛ فَهُما رَصيدي في الدُّنْيا وَالآخِرَةِ . إنَّني سَأتْرُكُ لَكَ ميراثًا ضَئيلاً ، وَلَكِنَّهُ قَدْ يَكونُ سَبَبًا في رِفْعَةِ شَأنِكَ ، وَرَغادَةِ عَيْشِكَ . كُلُّ ما أمْلِكُ ، يا بُنَيَّ ، سَتَجِدُهُ في هَذا الصُّنْدوقِ . خُذْهُ ، وَاحْتَفِظْ بِهِ ، وَلا تَفْتَحْهُ إلّا بَعْدَ مَماتي . »

أخَذَ « سعيد » الصُّنْدوقَ ، وَ وَضَعَهُ في حُجْرَتِهِ . وَبَعْدَ عِدَّةِ أيّامٍ ، تُوُفِّيَ الأبُ ، وَحَزِنَ « سعيد » عَلَيْهِ حُزْنًا شَديدًا ، وَفي غَمْرَةِ حُزْنِهِ تَذَكَّرَ وَصِيَّتَهُ ، تَذَكَّرَ الصُّنْدوقَ ، وَكَمْ كانَتْ دَهْشَتُهُ بالِغَةً ، إذْ فَتَحَهُ فَلَمْ يَجِدْ بِهِ غَيْرَ ثَلاثِ وَرَقاتٍ مَطْوِيَّةٍ ، وَكانَ يُمَنّي نَفْسَهُ بِقِسْطٍ مِنَ المالِ ، يُنْعِشُ بِهِ حَياتَهُ .

فَتحَ الوَرَقاتِ : الواحِدَةَ بَعْدَ الأخرى ، فَقَرَأَ بِها ثَلاثَ عِباراتٍ : الأولى – « اِمْضِ في طَريقِكَ وَلا تَحِدْ عَنْهُ » وَالثّانِيَةَ – « ساعَةُ الحَظِّ لا تُعَوَّضُ » ، أمّا العِبارَةُ الثّالِثَةُ فَهِيَ : « صَديقُكَ لا تَخُنْهُ وَإِنْ كُنْتَ خائِنًا .»

رَدَّدَ « سعيد » هَذِهِ العِباراتِ الثَّلاثَ حَتّى حَفِظَها ، ثُمَّ أَخَذَ يُفَكِّرُ في أَمْرِهِ : « ماذا أَفْعَلُ ؟ إِنَّني لا أَمْلِكُ شَيْئًا ، وَلَمْ يُخَلِّفْ لي أَبي شَيْئًا مِنَ المالِ أَسْتَعينُ بِهِ . يَجِبُ أَنْ أَبْحَثَ عَنْ عَمَلٍ . سَأَخْرُجُ مُنْذُ الصَّباحِ الباكِرِ لِلْبَحْثِ عَنْ عَمَلٍ في أَيِّ مَكانٍ .»

في صُبْحِ اليَوْمِ التّالي ، اسْتَيْقَظَ « سعيد » مُبَكِّرًا ، وَحَمَلَ مَتاعَهُ ، وَمَضى في طَريقِهِ ، وَراحَ يَنْتَقِلُ مِنْ مَكانٍ إِلى مَكانٍ ، يَبْحَثُ هُنا وَهُناكَ ، حَتّى وَجَدَ مَزْرَعَةً كَبيرَةً ، فَذَهَبَ إِلى مالِكِها ، وَطَلَبَ مِنْهُ العَمَلَ مَعَهُ ، وَلَكِنَّ صاحِبَ المَزْرَعَةِ أَجابَهُ : « لَدَيَّ الكَثيرُ مِنَ المُزارِعينَ وَلا أَحْتاجُ إِلَيْكَ ، وَلَكِنّي – رِفْقًا بِكَ ، وَعَطْفًا عَلَيْكَ – أَسْتَطيعُ أَنْ أُوَفِّرَ لَكَ عَمَلا ، بِشَرْطِ أَنْ تَمْكُثَ مَعي سَبْعَ

سَنَواتٍ ، وَلا تَتْرُكَني قَبْلَ مُرورِها !»

« وَلَكِنَّ سَبْعَ سَنَواتٍ مُدَّةٌ طَويلَةٌ ، فَلْتَقُلْ عامَيْنِ مَثَلا .»

« إِمّا سَبْعُ سَنَواتٍ ، وَإِمّا أَنْ تَرْحَلَ في الحالِ .»

« حَسَنًا ، وَماذا تُعْطيني بَعْدَ مُرورِ هَذِهِ السَّنَواتِ السَّبْعِ ؟»

« أُعْطيكَ ما أُعْطيهِ لِلآخَرينَ .»

كانَ مِنَ الصَّعْبِ عَلى « سعيد » أَنْ يَرْفُضَ العَمَلَ مَهْما كانَ شَرْطُهُ مُجْحِفًا قاسِيًا ، وَهُوَ في هَذِهِ الحالِ المُضْنِيَةِ ؛ فَقَدْ هَدَّهُ التَّعَبُ ، وَكادَ يُدْرِكُهُ اليَأْسُ وَالقُنوطُ . لَقَدْ مَضَتْ عِدَّةُ أَيّامٍ ، وَهُوَ يَبْحَثُ عَنْ عَمَلٍ دونَ جَدْوى . وَخَشِيَ « سعيد » أَنْ يُكْثِرَ مِنَ التَّساؤُلِ حَوْلَ العَمَلِ الَّذي يُريدُهُ مِنْهُ صاحِبُ المَزْرَعَةِ ؛ فَيَغْضَبَ مِنْهُ وَيَضيقَ بِهِ ، وَلا يُلْحِقَهُ بِأَيِّ عَمَلٍ .

« حَسَنًا ، مُوافِقٌ .» قالَها « سعيد » وَهُوَ يَدْعو رَبَّهُ أَنْ يُوَفِّقَهُ خِلالَ هَذِهِ السَّنَواتِ السَّبْعِ ، حَتّى يَجْمَعَ مَبْلَغًا مِنَ المالِ ، يَبْدَأُ بِهِ مَشْروعًا مُفيدًا ، يُدِرُّ عَلَيْهِ دَخْلاً يَضْمَنُ لَهُ

حياةً مُسْتَقِلَّةً مُسْتَقِرَّةً .»

مَضَتِ السَّنواتُ السَّبْعُ ، وَ« سعيد » يَعْمَلُ بِجِدٍّ وَاجْتِهادٍ عَمَلاً مُضْنِيًا وَشاقًّا ، وَلا يُعْطيهِ صاحِبُ المَزْرَعَةِ غَيْرَ كِسْرَةٍ مِنَ الخُبْزِ ، وَقِطْعَةٍ مِنَ الجُبْنِ ، وَيُعامِلُهُ بِقَسْوَةٍ شَديدَةٍ . صَبَرَ « سعيد » على ذَلِكَ مُعْتَقِدًا أَنَّ أَجْرَهُ في النِّهايَةِ سَيَكونُ كَبيرًا ، وَسَيُكافِئُهُ صاحِبُ العَمَلِ مُكافَأَةً مُجْزِيَةً .

مَضى شَهْرٌ وَراءَ شَهْرٍ ، وَعامٌ وَراءَ عامٍ ، وَ« سعيد » يُخْلِصُ في عَمَلِهِ ، وَيَبْذُلُ جَهْدَهُ في إِتْقانِهِ ، حَتّى انْتَهَتْ أَخيرًا هَذِهِ السَّنواتُ السَّبْعُ ، فَحَمِدَ اللهَ عَلى أَنْ مَرَّتْ بِسَلامٍ ، وَانْقَضَتْ في هُدوءٍ .

ذَهَبَ « سعيد » إلى صاحِبِ المَزْرَعَةِ وَهُوَ فَرِحٌ مُسْتَبْشِرٌ ، وَقالَ لَهُ : « لَقَدِ انْتَهى العامُ السّابِعُ ، يا سَيِّدي ، وَيَجِبُ أَنْ أَعودَ إلى مَنْزِلي ، فَأَرْجوكَ أَعْطِني أَجْري .»

« أَيَّ أَجْرٍ تُريدُ ؟ لَقَدْ قُلْتُ لَكَ إِنَّني سَأُعْطيكَ ما يَأْخُذُهُ الآخَرونَ ؛ أَلَيْسَ كَذَلِكَ ؟»

« بَلى ، يا سَيِّدي .»

« وَلَقَدْ أَعْطَيْتُكَ مِثْلَ الآخَرينَ ، قِطْعَةَ جُبْنٍ ، وَكِسْرَةَ خُبْزٍ كُلَّ يَوْمٍ .»

كادَ « سعيد » يَفْقِدُ عَقْلَهُ ، وَهَمَّ بِالهُجومِ عَلى صاحِبِ المَزْرَعَةِ لِيَقْتُلَهُ ، وَلَكِنَّهُ راجَعَ نَفْسَهُ وَتَماسَكَ ، وَمَضى في طَريقِهِ واجِمًا حَزينًا ، كاسِفَ البالِ ، كَسيرَ الخاطِرِ ، مُطْرِقَ الرَّأْسِ ، ثَقيلَ الخَطْوِ ، لا يَعْرِفُ كَمْ مِنَ الوَقْتِ مَضى وَهُوَ في هَذِهِ الحالِ . وَلَكِنْ مِنَ المُؤَكَّدِ أَنَّهُ قَطَعَ مَسافاتٍ طَويلَةً دونَ هَدَفٍ ، حَتّى شَعَرَ بِالجوعِ يَعَضُّ أَمْعاءَهُ ، وَالتَّعَبِ يَهُدُّ جِسْمَهُ ، فَجَلَسَ في ظِلِّ شَجَرَةٍ ، يُفَكِّرُ في أَمْرِهِ ، وَيَعْجَبُ مِنْ حالِهِ ، وَيُبْدِئُ وَيُعيدُ فيما حَدَثَ لَهُ .

كانَ « سعيد » جائِعًا ، فَقَرَّرَ أَنْ يَقومَ بِالبَحْثِ عَنْ شَيْءٍ يَسُدُّ جَوْعَتَهُ ، وَيُمْسِكُ عَلَيْهِ رَمَقَهُ . وَمَدَّ بَصَرَهُ يَمينًا وَشِمالاً ، فَإِذا هُوَ يَرى حَدائِقَ فاكِهَةٍ غَيْرَ بَعيدٍ مِنْهُ ،

فَمَضى إِلَيْها ، وَقَبْلَ أَنْ يَمُدَّ يَدَهُ لالْتِقاطِ إِحْدى الثَّمَراتِ تَذَكَّرَ العِبارَةَ الأُولى : « اِمْضِ في طَريقِكَ وَلا تَحِدْ عَنْهُ . »

لَقَدْ كانَ ماضِيًا في طَريقِهِ لِلْبَحْثِ عَنْ شَيْءٍ يَأْكُلُهُ ، وَلكِنَّهُ عِنْدَما رَأى هَذِهِ الحَدائِقَ اتَّجَهَ إِلَيْها ؛ لِيَأْكُلَ مِنْ ثِمارِها ، وَهُوَ لا يَعْرِفُ صاحِبَها لِيَسْتَأْذِنَهُ . وَبَيْنَما « سعيد » يَقِفُ مُتَرَدِّدًا سَمِعَ ضَوْضاءَ شَديدَةً ، وَ وَجَدَ بَعْضَ الخَدَمِ يَضْرِبونَ رَجُلًا ضَرْبًا مُبَرِّحًا بِعُنْفٍ وَقَسْوَةٍ ، فَاقْتَرَبَ مِنْهُمْ ، وَسَأَلَهُمْ عَنِ السَّبَبِ الَّذي حَمَلَهُمْ عَلى التَّنْكيلِ بِهَذا المِسْكينِ.

قالَ لَهُ كَبيرُهُمْ : « لَقَدْ وَجَدْناهُ يَأْكُلُ مِنْ ثِمارِ الحَديقَةِ ، دونَ أَنْ يَسْتَأْذِنَ سَيِّدي ، فَهُوَ لِصٌّ إِذًا . إِنَّهُ لَوْ كانَ قَدْ طَلَبَ بَعْضَ الثِّمارِ لأَعْطَيْناهُ إِيّاها ؛ فَسَيِّدي رَجُلٌ كَريمٌ وَصالِحٌ ، لا يَرُدُّ سائِلًا . »

« إِذًا قُلْ لِسَيِّدِكَ إِنَّني جائِعٌ وَمُتْعَبٌ ، وَأُريدُ مِنْهُ اسْتِضافَتي هَذِهِ اللَّيْلَةَ . »

قالَ « سعيد » هَذِهِ العِبارَةَ وَهُوَ يُرَدِّدُ في سِرِّهِ الحِكْمَةَ الثّانِيَةَ : « ساعَةُ الحَظِّ لا تُعَوَّضُ . »

« اِنْتَظِرْ هُنا حَتّى أُخْبِرَ سَيِّدي بِطَلَبِكَ . »

وَقَفَ « سعيد » يَنْتَظِرُ وَهُوَ قَلِقٌ : ماذا سَيَحْدُثُ لَهُ لَوْ أَنَّ صاحِبَ هَذِهِ الحَدائِقِ رَفَضَ أَنْ يَسْتَضيفَهُ في قَصْرِهِ ؟ أَيْنَ سَيَذْهَبُ وَقَدْ أَقْبَلَ اللَّيْلُ وَلا يَعْرِفُ مَكانًا لِلْمَبيتِ ؟ وَماذا سَيَكونُ مَصيرُهُ في هَذا الظَّلامِ الحالِكِ ، وَالبَرْدِ القارِسِ ، والجوعِ الَّذي يُمَزِّقُ أَحْشاءَهُ ؟

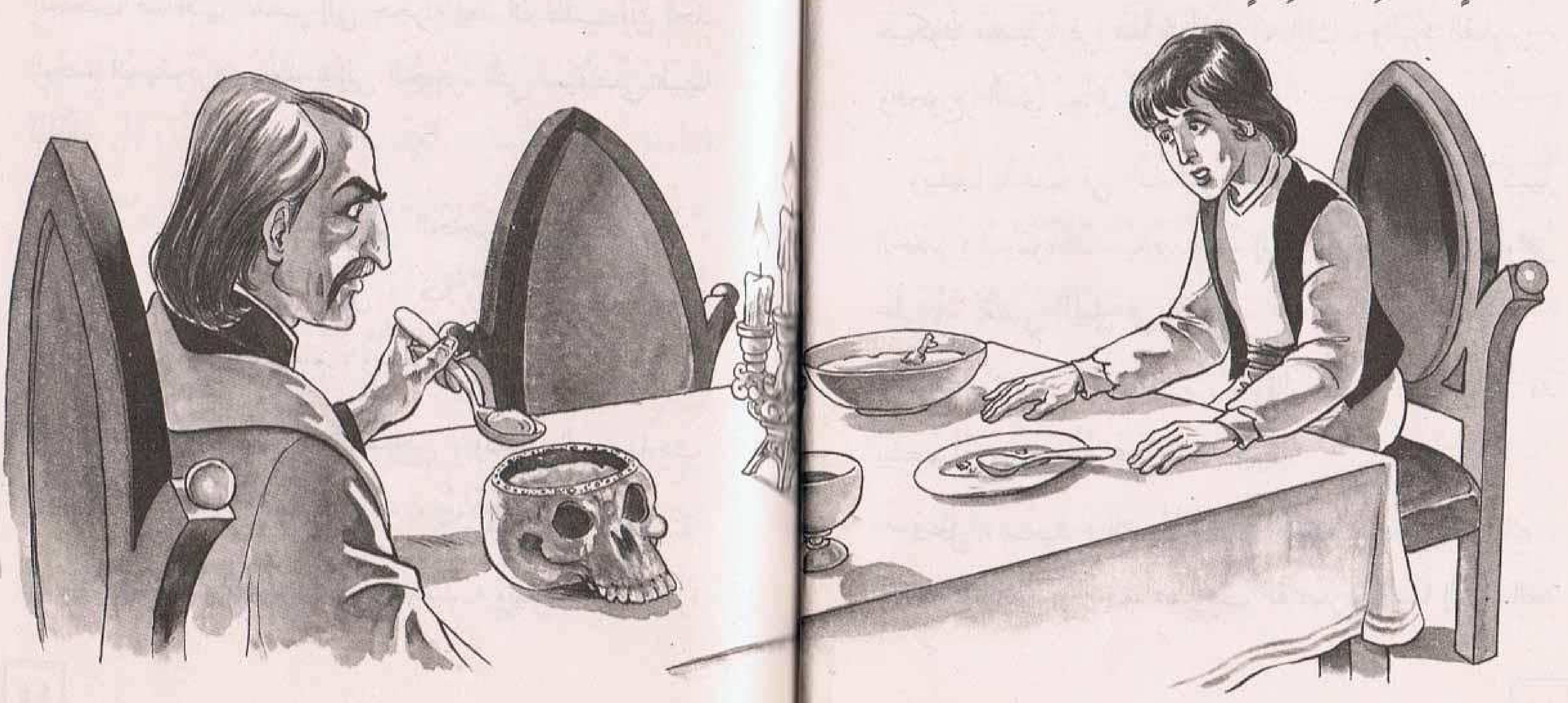
وَبَيْنَما يَذْهَبُ في التَّفْكيرِ مَذاهِبَ شَتّى – أَقْبَلَ كَبيرُ الخَدَمِ ؛ لِيُخْبِرَهُ أَنَّ سَيِّدَهُ يَدْعوهُ إِلى مائِدَةِ العَشاءِ ، وَيُوافِقُ عَلى أَنْ يَقْضِيَ اللَّيْلَ في القَصْرِ .

فَرِحَ « سعيد » فَرَحًا غامِرًا ، وَقالَ لِنَفْسِهِ : إِنَّ الحَظَّ قَدْ يَبْتَسِمُ لَهُ ، وَيُعَوِّضُهُ عَمّا فاتَ خَيْرًا .

دَخَلَ « سعيد » القَصْرَ مَبْهورًا بِعَظَمَتِهِ ، وَرَوْعَةِ بِنائِهِ ، وَفَخامَةِ أَثاثِهِ . وَ وَجَدَ صاحِبَ القَصْرِ جالِسًا إِلى مائِدَةِ

العَشاءِ في انْتِظارِهِ . أَقْبَلَ « سعيد » عَلَيْهِ ، وَحَيّاهُ وَشَكَرَهُ ، ثُمَّ جَلَسَ بِجِوارِهِ وَهُوَ يَنْظُرُ إلى أَصْنافِ الطَّعامِ ، يَسيلُ لُعابُهُ ، وَيَلْعَقُ لِسانَهُ ، وَيَتَساءَلُ أيَّ صِنْفٍ يَأْكُلُ ؟ وَبِأَيِّها يَبْدَأُ ؟ بِهَذِهِ أَوْ بِتِلْكَ ؟ بِهَذا أَوْ ذاكَ ؟ وَلَمْ يَنْتَبِهْ إلى وُجودِ صاحِبِ القَصْرِ مَعَهُ ، إلّا حينَ بَدَأَتْ مَعِدَتُهُ تَشْعُرُ بِالامْتِلاءِ ، فَنَظَرَ إلَيْهِ ، وَلِدَهْشَتِهِ وَجَدَهُ يَأْكُلُ طَعامَهُ في جُمْجُمَةٍ يَسْتَخْدِمُها كَوِعاءٍ .

ذُهِلَ « سعيد » لِهَذا المَنْظَرِ .. كَيْفَ اسْتَطاعَ هَذا الرَّجُلُ أَنْ يَبْلَعَ طَعامَهُ ؟ وَلِماذا يَأْكُلُ في هَذِهِ الجُمْجُمَةِ ؟ لَمْ يَسْتَطِعْ « سعيد » أَنْ يُسَيْطِرَ عَلى فُضولِهِ ، فَقالَ : « لِماذا يا سَيِّدي ... » وَلَكِنْ قَبْلَ أَنْ يُكْمِلَ سُؤالَهُ ، لاحَظَ أَنَّ وَجْهَ الرَّجُلِ تَغَيَّرَ فَجْأَةً ، وَامْتُقِعَ لَوْنُهُ - فَسَكَتَ عَنِ الكَلامِ . وَلَكِنَّ صاحِبَ القَصْرِ سَأَلَهُ : « عَنْ أَيِّ شَيْءٍ تَسْأَلُ ؟ »



« أقولُ يا سَيِّدي : لِماذا .. لِماذا .. لِماذا تُعطي أشْجارُ الفاكِهَةِ ثِمارَها في الشِّتاءِ ، وَعادةً ما تُثْمِرُ مِثْلُ هَذِهِ الأشْجارِ في نِهايَةِ فَصْلِ الرَّبيعِ ؟»

ضَحِكَ صاحِبُ القَصْرِ ، وَأشْرَقَ وَجْهُهُ بِالبَهْجَةِ وَالسُّرورِ، وَضَحِكَ مَعَهُ الخَدَمُ مُسْتَبْشِرينَ ، مُهَلِّلينَ ، وَ « سعيد » ذاهِلٌ دَهِشٌ ، لا يَدْري سَبَبًا لِهَذا الضَّحِكِ وَلِهَذِهِ البَهْجَةِ . اِنْسَحَبَ صاحِبُ القَصْرِ إلى حُجْرَتِهِ بَعْدَ أنْ طَلَبَ مِنْ أحَدِ الخَدَمِ أنْ يَقودَ « سعيد » إلى الحُجْرَةِ الَّتي سَيَقْضي فيها لَيْلَتَهُ .

شَكَرَهُ « سعيد » وَمَضى إلى الحُجْرَةِ الَّتي أُعِدَّتْ لَهُ ، وَنامَ كَما لَمْ يَنَمْ مِنْ قَبْلُ ؛ فَلأوَّلِ مَرَّةٍ مُنْذُ عِدَّةِ أعْوامٍ يَمْتَلِئُ بَطْنُهُ بِالطَّعامِ ، وَيَشْعُرُ بِالشِّبَعِ .

اِسْتَيْقَظَ « سعيد » عِنْدَ الضُّحى ، وَذَهَبَ إلى صاحِبِ القَصْرِ يَشْكُرُهُ عَلى حُسْنِ ضِيافَتِهِ ، وَيُوَدِّعُهُ قَبْلَ مُغادَرَتِهِ .

كانَ صاحِبُ القَصْرِ يَنْتَظِرُ « سعيد » وَبِيَدِهِ صُرَّةٌ كَبيرَةٌ

أعْطاها لَهُ قائِلًا : « خُذْ هَذا المَبْلَغَ ؛ فَأنا مَدينٌ لَكَ بِهِ . تَسْتَطيعُ أنْ تَبْدَأَ بِهِ مَشْروعًا يُغْنيكَ عَنِ السُّؤالِ ، وَيَقيكَ ذُلَّ الحاجَةِ .»

« وَلَكِنَّكَ ، يا سَيِّدي ، لَسْتَ مَدينًا لي بِشَيْءٍ .. عَلى العَكْسِ مِنْ ذَلِكَ ، أنا مَدينٌ لَكَ بِحُسْنِ مُعامَلَتِكَ وَكَرَمِ ضِيافَتِكَ .»

« سَأقُصُّ عَلَيْكَ شَيْئًا : أمْسِ وَنَحْنُ نَتَناوَلُ طَعامَ العَشاءِ ، ظَنَنْتُ أنَّكَ مِثْلُ الآخَرينَ – سَتَسْألُ عَنْ سَبَبِ تَناوُلي الطَّعامَ في جُمْجُمَةٍ ، وَلَكِنَّكَ لَمْ تَفْعَلْ مِثْلَهُمْ ، بَلْ سَألْتَ عَنْ أشْجارِ الفاكِهَةِ وَما تُؤْتيهِ مِنْ ثِمارٍ في غَيْرِ مَوْعِدِها ، فَأنْتَ أوَّلُ شَخْصٍ ألْتَقيهِ ، وَلا يَسْألُني عَنِ السِّرِّ في ذَلِكَ ، فَأنا مَدينٌ لَكَ ؛ إذْ إنَّكَ بِعَدَمِ سُؤالِكَ قَدْ خَلَّصْتَني مِنْ أثَرِ سِحْرٍ كُنْتُ مَشْدودًا إلَيْهِ ، وَلا يُتاحُ لِيَ التَّخَلُّصُ مِنْهُ إلا إذا مَرَّ بِالقَصْرِ شَخْصٌ لَمْ يَسْألْ هَذا السُّؤالَ . لِذَلِكَ أرْجو أنْ تَقْبَلَ هَذا المَبْلَغَ هَدِيَّةً مِنّي .»

« شُكْرًا ، يا سَيِّدي ، وَ وَداعًا .»

أخَذَ « سعيد » النُّقودَ ، وَمَضى في طَريقِهِ عائِداً إلى مَنْزِلِهِ ، وَعِنْدَ نِهايَةِ حَدائِقِ القَصْرِ بَرزَ أمامَهُ رَجُلٌ كانَ مُخْتَبِئًا خَلْفَ الأشْجارِ ، وَإذا بِهِ أحَدُ الخَدَمِ الَّذينَ يَعْمَلونَ في القَصْرِ .

دَعاهُ الخادِمُ لِلْجُلوسِ ، وَعَرَضَ عَلَيْهِ أنْ يُعاوِنَهُ في سَرِقَةِ بَعْضِ أمْوالِ صاحِبِ القَصْرِ ، فَهُوَ يَمْلِكُ مِنَ الأمْوالِ ما لا يَتَسَنّى حَصْرُهُ ، وَإذا اسْتَطاعا الحُصولَ عَلى بَعْضِهِ عاشا بَقِيَّةَ حَياتِهِما في رَغادَةِ عَيْشٍ ، دونَ أنْ يُضْطَرّا إلى العَمَلِ .

« وَلَكِنّي أمْتَلِكُ قِسْطًا مَوْفوراً مِنَ المالِ ، وَسَأبْدَأُ بِهِ مَشْروعًا صَغيراً ، وَبِالعَمَلِ وَالمُثابَرَةِ سَأحَقِّقُ النَّجاحَ الَّذي أصْبو إلَيْهِ . »

« سَيَكونُ مِثْلَ أيِّ مَشْروعٍ ، تَعْمَلُ وَتَعْمَلُ ، وَقَدْ لا تُحَقِّقُ رِبْحًا إلا بَعْدَ فَتْرَةٍ طَويلَةٍ ، وَلَكِنْ ما أعْرِضُهُ عَلَيْكَ يَجْلُبُ رِبْحًا سَهْلا دونَ جَهْدٍ أوْ مَشَقَّةٍ . »

فَكَّرَ « سعيد » في الأمْرِ ، وَقالَ لِنَفْسِهِ : « إنَّ صاحِبَ

القَصْرِ شَديدُ الثَّراءِ ، وَلَنْ يُضيرَهُ أنْ يَفْقِدَ بَعْضَ مالِهِ . وَلَعَلَّني أجِدُ في هَذا المالِ تَعْويضًا عَنْ تَعَبٍ بِغَيْرِ أجْرٍ ، لَعَلَّني أرْتاحُ بَعْدَ التَّعَبِ وَالنَّصَبِ .. وَ .. » وَلَكِنَّهُ تَذَكَّرَ العِبارَةَ الثّالِثَةَ وَالأخيرَةَ : « صَديقُكَ لا تَخُنْهُ وَإنْ كُنْتَ خائِنًا . »

خافَ « سعيد » مِنَ الخادِمِ ، وَخَشِيَ عَلى ما مَعَهُ مِنْ نُقودٍ ؛ فَتَظاهَرَ بِالمُوافَقَةِ ، وَقالَ لَهُ إنَّهُ سَيَعودُ إلى القَصْرِ ، وَيَطْلُبُ مِنْ صاحِبِهِ اسْتِضافَتَهُ يَوْمًا آخَرَ ، لِيُسَهِّلَ لَهُ عَمَلِيَّةَ الاسْتيلاءِ عَلى النُّقودِ ، ثُمَّ يَهْرُبا مَعًا .

وَما إن وَصَلَ « سعيد » القَصْرَ - حَتّى انْفَرَدَ بِصاحِبِهِ ، وَقَصَّ عَلَيْهِ ما وَقَعَ لَهُ مَعَ الخادِمِ ، فَأمَرَ صاحِبُ القَصْرِ بِاسْتِدْعاءِ الحَرَسِ ، وَالقَبْضِ عَلى الخادِمِ الخائِنِ ، وَشَكَرَ « سعيد » لإخْلاصِهِ وَ وَفائِهِ ، وَ وَدَّعَهُ راجِيًا لَهُ التَّوْفيقَ وَالسَّلامَ .

انْطَلَقَ « سعيد » في طَريقِهِ ، يَحُثُّ خُطاهُ نَحْوَ دارِهِ ،

فَقَدْ كانَ شَوْقُهُ إِلَيْها بالِغًا ، وَلَهْفَتُهُ عَلَيْها شَديدَةً . وَما إِنْ وَصَلَ دارَهُ حَتّى بَدَأَ التَّفْكيرَ الدَّقيقَ في المَشْروعِ الَّذي يَصْلُحُ لَهُ ، وَيُفيدُ مُجْتَمَعَهُ . وَراحَ يَدْرُسُ الخُطُواتِ اللّازِمَةَ لِتَنْفيذِ المَشْروعِ الَّذي اسْتَقَرَّ عَلَيْهِ عَزْمُهُ ، وَأَجْهَدَ نَفْسَهُ في السَّيْرِ خُطْوَةً بَعْدَ خُطْوَةٍ ، في تَنْظيمٍ عِلْمِيٍّ مُسْتَنيرٍ ، حَتّى بَدَأَ العَمَلُ ، وَتَدَفَّقَ الإِنْتاجُ .

وَبِكَثيرٍ مِنَ الجَهْدِ وَالمُثابَرَةِ ، وَالدَّأَبِ وَالصَّبْرِ ، نَما المَشْروعُ حَتّى غَدا مُؤَسَّسَةً لَها مَكانَتُها بَيْنَ النّاسِ ، وَحَقَّقَ مِنْ وَرائِها « سعيد » ما كَفَلَ لَهُ حَياةً هانِئَةً مُسْتَقِرَّةً .

وَحينَئِذٍ قَرَّ قَرارُهُ عَلى أَنْ يَجْعَلَ مِنْ صُنْدوقِ أَبيهِ ميراثًا تَتَوارَثُهُ الأُسْرَةُ ، جيلاً بَعْدَ جيلٍ !

البُرْتُقالاتُ الثَّلاثُ

كانَ الأَميرُ « علاء » مُعْتَزًّا بِنَفْسِهِ ، فَخورًا بِشَبابِهِ ، مُدِلًّا عَلى أَقْرانِهِ ؛ فَهُوَ يَمْلِكُ الجاهَ وَالمالَ وَالشَّبابَ وَالجَمالَ . وَهُوَ وَحيدُ والِدَيْهِ ، يَسْتَجيبانِ لِرَغْبَتِهِ ، وَيُحَقِّقانِ طَلِبَتَهُ ، لا يَصُدّانِهِ عَنْ شَيْءٍ ، وَلا يَحولانِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَيِّ شَيْءٍ .

وَذاتَ يَوْمٍ ، خَرَجَ الأَميرُ « علاء » مُمْتَطِيًا جَوادَهُ ، حامِلاً قَوْسَهُ وَسِهامَهُ ، يَرْغَبُ في التَّنَزُّهِ عِنْدَ البُحَيْرَةِ القَريبَةِ مِنَ القَصْرِ ، وَهُناكَ رَأى سَيِّدَةً عَجوزًا ، تَمْلأُ آنِيَةً بِالماءِ ، كَيْ تَشْرَبَ مِنْها . أَرادَ الأَميرُ أَنْ يَخْتَبِرَ مَهارَتَهُ في إِحْرازِ الهَدَفِ ، فَما كادَتِ العَجوزُ تُدْني الآنِيَةَ مِنْ فَمِها – حَتّى كانَ الأَميرُ ، في لَمْحِ البَصَرِ ، قَدْ صَوَّبَ إِلَيْها سَهْمًا مِنْ سِهامِهِ ، فَفَلَقَها فِلْقَتَيْنِ ، وَشَطَرَها شَطْرَيْنِ .

غَضِبَتِ العَجوزُ غَضَبًا شَديدًا ، وَقالَتْ لِلأَميرِ : « وَيْحَكَ أَيُّها المَغْرورُ ! تَتَباهى بِقُوَّتِكَ وَشَبابِكَ ، وَتَسْخَرُ مِنْ سَيِّدَةٍ

عَجوزٍ ، أرادَتْ أنْ تَشْرَبَ بَعْضَ الماءِ ! إنَّني سَأدْعو اللهَ أنْ يوقِعَكَ في حُبِّ البُرْتُقالاتِ الثَّلاثِ . فَلْيَجْعَلْكَ اللهُ تَبْحَثُ عَنْهُنَّ ، وَتَقَعُ في حُبِّهِنَّ .»

« اِنْتَظِري . ماذا تَقولينَ ؟ وَماذا تَقْصِدينَ ؟ البُرْتُقالاتُ الثَّلاثُ ! الثَّلاثُ !»

عادَ الأميرُ إلى القَصْرِ خائِفًا مَذْعوراً ، وَنادى على مُرَبِّيَتِهِ العَجوزِ ، وَقَصَّ عَلَيْها ما حَدَثَ ، وَطَلَبَ مِنْها أنْ تُفَسِّرَهُ لَهُ ، وَتُخْبِرَهُ بِما تَعْرِفُ عَنْ هَذِهِ البُرْتُقالاتِ الثَّلاثِ .

قالَتِ المُرَبِّيَةُ العَجوزُ : « يُحْكى ، يا بُنَيَّ ، أنَّهُ في بِلادٍ بَعيدَةٍ ، لا يَقْرَبُها الإنْسُ وَلا الجانُّ ، شَجَرَةٌ كَبيرَةٌ تَحْرُسُها الوُحوشُ ، وَيَتَدَلّى مِنْها ثَلاثُ ثِمارٍ ذَهَبِيَّةٍ .. يَقولُ البَعْضُ : إنَّها ثَلاثُ بُرْتُقالاتٍ ، وَيَزْعُمُ البَعْضُ الآخَرُ أنَّها ثَلاثُ لَيْموناتٍ ، وَيَعْتَقِدُ آخرونَ أنَّها ثَلاثُ تُفّاحاتٍ ذَهَبِيَّةٍ . وَلَكِنَّ الكُلَّ يُجْمِعونَ عَلى أنَّ بِداخِلِ هَذِهِ الثِّمارِ ثَلاثَ فَتَياتٍ جَميلاتٍ ، لَمْ يَسْتَطِعْ أحَدٌ أنْ يَصِلَ إلَيْهِنَّ حَتّى الآنَ .»

« سَأصِلُ أنا إلَيْهِنَّ .»

« كَيْفَ ، يا بُنَيَّ ؟ إنَّ الطَّريقَ إلَيْهِنَّ صَعْبٌ ، لا يَعودُ مِنْهُ أحَدٌ . أرْجوكَ أنْ تَصْرِفَ النَّظَرَ عَنْ ذَلِكَ الأمْرِ .»

« لا أسْتَطيعُ ، سَأصِلُ إلَيْهِنَّ .. لَقَدْ قَرَّرْتُ ذَلِكَ .»

وَدَّعَ الأميرُ والِدَيْهِ ، وَبَدَأ رِحْلَتَهُ لِلْبَحْثِ عَنِ البُرْتُقالاتِ الثَّلاثِ .

مَرَّتِ الأيّامُ وَالأسابيعُ ، بَلِ الشُّهورُ ، وَطالَتْ غَيْبَةُ الأميرِ ، وَلا أحَدَ يَعْرِفُ عَنْهُ شَيْئًا . اِنْقَطَعَتْ أخْبارُهُ ، حَتّى اسْتَبَدَّ الجَزَعُ بِوالِدَيْهِ ، وَسَيْطَرَتْ عَلَيْهِما المَخاوِفُ ، وَباتا في هَمٍّ مُقيمٍ !

كانَ الأميرُ يَسْألُ كُلَّ مَنْ يُقابِلُهُ ، وَيَنْتَقِلُ مِنْ بَلَدٍ إلى بَلَدٍ . وَإذا هُوَ يَلْتَقي - ذاتَ يَوْمٍ - شَيْخًا عَجوزاً ، يَعْرِفُ طَريقَهُنَّ ، وَلَكِنَّ الشَّيْخَ لَمْ يَسْتَجِبْ فَوْراً لِرَغْبَةِ الأميرِ ، بَلْ حاوَلَ جاهِداً أنْ يُثْنِيَ الأميرَ عَنْ عَزْمِهِ ؛ لِخُطورَةِ ما هُوَ مُقْدِمٌ عَلَيْهِ ، وَلَكِنَّ الأميرَ كانَ مُصَمِّمًا عَلى هَدَفِهِ ، وَهُوَ الوُصولُ إلى البُرْتُقالاتِ الثَّلاثِ .



لَمْ يَجِدِ الشَّيْخُ مَفَرًّا مِنْ أَنْ يُرْشِدَهُ إلى الطَّريقِ . وَ وَدَّعَهُ داعِيًا لَهُ بِالتَّوْفيقِ .

أَتَمَّ الأَميرُ رِحْلَتَهُ ، وَاقْتَرَبَ مِنْ مَكانِ الشَّجَرَةِ ، وَرَأى تَحْتَها بَعْضَ الحَيَواناتِ المُفْتَرِسَةِ ، فَابْتَعَدَ عَنِ الشَّجَرَةِ ، وَأَشْعَلَ ناراً ، وَ وَضَعَ عَلَيْها قِطْعَةً كَبيرَةً مِنَ اللَّحْمِ ، ثُمَّ أَخْمَدَ النّارَ ، وَتَرَكَ رائِحَةَ اللَّحْمِ تَجْذِبُ الحَيَواناتِ واحِداً بَعْدَ الآخَرِ ، حَتّى ابْتَعَدَتِ جَميعُها عَنِ الشَّجَرَةِ . وَفي لَمْحِ البَصَرِ قَطَفَ الأَميرُ الثَّمَراتِ الثَّلاثَ ، وَقَفَزَ فَوْقَ جَوادِهِ ، وَانْطَلَقَ بِسُرْعَةٍ ، قَبْلَ أَنْ تَلْحَقَ بِهِ الحَيَواناتُ المُفْتَرِسَةُ .

فَلَمّا ابْتَعَدَ الأَميرُ مَسافَةً مَعْقولَةً ، وَاطْمَأَنَّ إلى أَنَّهُ قَدْ أَصْبَحَ في أَمانٍ ، قَرَّرَ أَنْ يَنالَ قِسْطاً مِنَ الرّاحَةِ ، وَأَنْ يَفْتَحَ الثَّمَرَةَ الأُولى .

فَتَحَ الأَميرُ البُرْتُقالَةَ الأُولى ، فَخَرَجَتْ مِنْها فَتاةٌ رائِعَةُ الجَمالِ ، تَرْتَدي ثَوْباً أَبْيَضَ ناصِعًا ، وَتَقولُ لَهُ بِصَوْتٍ خافِتٍ :

« أَنا جائِعَةٌ .. جائِعَةٌ .»

لَمْ يَكُنْ يَمْلِكُ الأميرُ شيئًا مِنَ الطَّعامِ ، يَسْتَطيعُ أنْ يُقَدِّمَهُ لَها ، فَاخْتَفَتْ في الحالِ .

سارَ الأميرُ في طَريقِ عَوْدَتِهِ ، وَحَصَلَ على بَعْضِ الطَّعامِ ، وَقَرَّرَ فَتْحَ البُرْتُقالَةِ الثّانِيَةِ . ظَهَرَتْ لَهُ هَذِهِ المَرَّةَ فَتاةٌ أَكْثَرُ جَمالاً ، تَرْتَدي ثَوْبًا أَسْوَدَ ، وَتَقولُ لَهُ بِصَوْتٍ خافِتٍ :

« أنا ظَمْآنَةٌ .. ظَمْآنَةٌ . »

قَرَّرَ الأميرُ عَدَمَ فَتْحِ البُرْتُقالَةِ الثّالِثَةِ وَالأخيرَةِ قَبْلَ أنْ يَتَوَفَّرَ لَدَيْهِ الماءُ وَالطَّعامُ . وَعِنْدَما تَوَفَّرا لَدَيْهِ فَتَحَها ، فَإِذا بِفَتاةٍ تَفوقُ الأُخْرَيَيْنِ جَمالاً ، وَلَكِنَّها تَرْتَدي ثَوْبًا مُهَلْهَلاً ، وَتَقولُ بِصَوْتٍ خافِتٍ :

« أنا جائِعَةٌ .. أنا ظَمْآنَةٌ . »

فَقَدَّمَ لَها مِنَ الطَّعامِ وَالشَّرابِ ما أَشْبَعَ جوعَها ، وَرَوى ظَمَأَها . أَرْدَفَ الأميرُ الفَتاةَ خَلْفَهُ ، وَانْطَلَقَ يَعْدو بِجَوادِهِ . فَلَمّا اقْتَرَبَ مِنَ القَصْرِ قالَتْ لَهُ الفَتاةُ :

« إنَّ ثَوْبي قَديمٌ مُمَزَّقٌ ، وَيُخْجِلُني أنْ أُقابِلَ بِهِ مَنْ في القَصْرِ . سَأَنْتَظِرُكَ فَوْقَ هَذِهِ الشَّجَرَةِ ، حَتّى تَذْهَبَ إلى القَصْرِ وَتُحْضِرَ لي ثَوْبًا يَليقُ بي .. وَعَلَيْكَ أنْ لا تَتَأَخَّرَ في العَوْدَةِ . »

صادَفَتْ رَغْبَةُ الفَتاةِ قَبولاً مِنَ الأميرِ ، فَقَدْ كانَ يَوَدُّ أنْ تَلْقى مَنْ في القَصْرِ وَهِيَ في أَبْهى زينَتِها ، وَأَكْمَلِ جَمالِها ؛ فَتَرَكَها فَوْقَ الشَّجَرَةِ ، وَأَسْرَعَ لِيُحْضِرَ لَها ثَوْبًا .

بَعْدَ فَتْرَةٍ مِنْ رَحيلِ الأميرِ ، جاءَتْ قافِلَةٌ ، وَجَلَسَ رِجالُها يَسْتَريحونَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ ، وَصَعَّدَ أَحَدُهُمْ بَصَرَهُ ، فَلَمَحَ الفَتاةَ فَوْقَ الشَّجَرَةِ ، فَصَعِدَ إلَيْها ، وَأَمْسَكَ بِها ؛ لِيَبيعَها جارِيَةً في سوقِ العَبيدِ . حاوَلَتِ الفَتاةُ أنْ تَسْتَغيثَ ، وَلَكِنْ دونَ جَدْوى ، فَلَمْ يَكُنْ هُناكَ مَنْ يَسْمَعُ صُراخَها ، وَيَسْتَجيبُ لِنِدائِها !

مَضَتِ القافِلَةُ في طَريقِها ، وَمَعَها الفَتاةُ ، وَالأميرُ في القَصْرِ يَنْتَقي لَها أَجْمَلَ الثِّيابِ ، وَأَفْخَرَ العُطورِ ، وَأَفْضَلَ أَدَواتِ الزّينَةِ ، وَهُوَ يُمَنّي نَفْسَهُ بِأَنْ يُقَدِّمَ لِوالِدَيْهِ وَلِمَنْ في

الْقَصْرِ أجْمَلَ فَتاةٍ عَلى ظَهْرِ الأرْضِ ، لَمْ تَرَ عَيْنٌ مِثْلَ جَمالِها ، وَلَمْ تَسْمَعْ أُذُنٌ مِثْلَ صَوْتِها .

وَكانَ يَنْتَقِلُ في القَصْرِ ، يَنْتَقي ما يُريدُ ، وَهُوَ في نَشْوَةٍ ، يُغَنّي غِناءً رائِعًا ، يَفْخَرُ بِتَحْقيقِ هَدَفِهِ ، وَيَزْهو بِحُصولِهِ عَلى مُبْتَغاهُ .

عادَ الأميرُ بَعْدَ فَتْرَةٍ ، يَحْمِلُ ما انْتَقاهُ ، وَهُوَ يَكادُ يَطيرُ مِنْ شِدَّةِ الفَرَحِ وَالحُبورِ ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَجِدِ الفَتاةَ فَوْقَ الشَّجَرَةِ ، وإذْ هُوَ واجِمٌ صامِتٌ ، يُحاوِلُ أنْ يَجِدَ سَبيلاً إلى الصُّراخِ فَلا يَسْتَطيعُ ، يَفْتَحُ عَيْنَيْهِ عَلى أشُدِّهِما وَيَتَطَلَّعُ إلى الشَّجَرَةِ ، فَيَرْتَدُّ إلَيْهِ بَصَرُهُ وَهُوَ حَسيرٌ .

كانَ كَمَنْ أصابَتْهُ صاعِقَةٌ ، أوْ حَلَّتْ بِهِ قارِعَةٌ ، أوْ نَزَلَ بِهِ إعْصارٌ !

تَساقَطَ مِنْ يَدَي الأميرِ ما كانَ يَحْمِلُهُ مِنْ زينَةٍ وَثِيابٍ ، وَقَفَلَ عائِدًا إلى القَصْرِ ، مُنَكَّسَ الرَّأسِ ، كَسيرَ الخاطِرِ ، مَحْزونَ الفُؤادِ . وَكَأنَّما شَعَرَ الحِصانُ بِما يُثْقِلُ صاحِبَهُ مِنْ هَمٍّ ، وَما يَعْتَصِرُ قَلْبَهُ مِنْ حُزْنٍ – فَأطْرَقَ بِرَأسِهِ إلى

الأرْضِ ، وَأرْخى أُذُنَيْهِ ، وَمَشى بَطيئًا كَأنَّهُ يَحْمِلُ فَوْقَ ظَهْرِهِ ثِقْلاً يَنوءُ بِهِ .

مَرَّتِ الأيّامُ ، وَالأميرُ مُقيمٌ في صَمْتٍ وَ وُجومٍ مُحْزِنٍ ، وَحالَتُهُ تَزْدادُ سوءًا ، وَيَزْدادُ يَأسُ الأطِبّاءِ مِنْ شِفائِهِ ، فَعَمَّ الحُزْنُ أرْجاءَ المَمْلَكَةِ ، وَلَفَّ بِثِيابِهِ السّودِ كُلَّ أهْلِها !

بَيْنَما كانَ الأميرُ في هَذِهِ الحالِ ، لا يَمْلِكُ مِنْ أمْرِ نَفْسِهِ شَيْئًا ، وَلا يَمْلِكُ لَهُ مَنْ حَوْلَهُ نَفْعًا – كانَتِ الفَتاةُ تُحاوِلُ الهَرَبَ مِنَ القافِلَةِ ، حَتّى تَمَّ لَها ما أرادَتْ . عاوَنَها في ذَلِكَ عَجوزٌ ، رَقَّ قَلْبُهُ لِحالِها ، وَاسْتَجابَ لِدُموعِها .

أسْرَعَتِ الفَتاةُ بِالعَوْدَةِ إلى مَمْلَكَةِ الأميرِ ، فَلَمّا بَلَغَتْها سَمِعَتْ بِمَرَضِهِ ، وَيَأسِ الأطِبّاءِ مِنْ شِفائِهِ ، فَتَنَكَّرَتْ في زِيِّ طَبيبٍ ، وَطَلَبَتْ مُقابَلَةَ المَلِكِ .

مَثَلَتْ بَيْنَ يَدَي المَلِكِ ، وَأكَّدَتْ لَهُ أنَّها تَسْتَطيعُ تَشْخيصَ داءِ الأميرِ ، كَما تَسْتَطيعُ أنْ تَصِفَ لَهُ الدَّواءَ النّاجِعَ ، الَّذي يَكونُ فيهِ – بِتَوْفيقِ اللهِ – الشِّفاءُ العاجِلُ .

تَعَلَّقَ المَلِكُ بِقَوْلِها ، كَما يَتَعَلَّقُ الغَريقُ بِطَوْقِ النَّجاةِ ،

وَدبَّ الأَملُ في نَفْسِهِ . وَهُناكَ طَلَبَتْ أنْ تُتْرَكَ مَعَ الأميرِ ، وَأنْ يُخْلى بَيْنَها وَبَيْنَهُ .

فَلَمّا انْصَرَفَ الجَميعُ ، كَشَفَتِ الفَتاةُ عَنْ شَخْصِيَّتِها لِلأَميرِ ، الَّذي كادَ قَلْبُهُ يَقْفِزُ مِنْ بَيْنِ ضُلوعِهِ فَرَحًا وَسُروراً ، وَإذا هُوَ يَبْرَأُ مِنْ عِلَّتِهِ ، وَيَثِبُ مِنْ فِراشِهِ ، وَيُمْسِكُ بِيَدِ فَتاتِهِ ، وَيَخْرُجُ مِنْ غُرْفَتِهِ مُسْرِعاً .

يَذْهَلُ والِداهُ ، وَيكادُ يُغْمى عَلَيْهِما ، حينَ أبْصَرا الأميرَ يَخْرُجُ عَلَيْهِما مِنْ غُرْفَتِهِ سَليمًا مُعافًى ، كَما يَذْهَلُ الحاضِرونَ ، وَيَشْتَدُّ الذُّهولُ حينَ يَرَوْنَ الطَّبيبَ فَتاةً رائِعَةَ الجَمالِ .

أخْبَرَ الأميرُ وَالِدَيْهِ وَالحاضِرينَ بِما وَقَعَ لَهُ وَلِفَتاتِهِ ، وَرَغِبَ إلى والِدَيْهِ في المُوافَقَةِ عَلى زَواجِهِ مِنْها ؛ رَحَّبَ الأَبَوانِ بِرَغْبَتِهِ ، وَبَدَأَتِ المَمْلَكَةُ تَتَّخِذُ الأُهْبَةَ لِهَذا الزَّواجِ السَّعيدِ .

وَبَيْنَما كانَ الجَميعُ مَشْغولينَ بِهَذا الزِّفافِ المَلَكِيِّ الكَريمِ ، وَكانَتْ الاسْتِعْداداتُ تَجْري عَلى قَدَمٍ وَساقٍ –

كانَتِ الأميرَةُ مَشْغولَةَ الفِكْرِ بِأُخْتَيْها ، تُفَكِّرُ في أَمْرِهِما تَفْكيراً عَميقًا ، وَتَحِنُّ إلى لِقائِهِما حَنيناً شَديداً ، وَتَبْتَهِلُ إلى اللهِ – في ضَراعَةٍ – أنْ يَجْمَعَها بِهِما .

حَلَّ يَوْمُ الزِّفافِ ، وَلَبِسَتِ المَمْلَكَةُ أَبْهى حُلَلِها ، وَأخَذَتْ أبْهى زُخْرُفِها ، وَبَدَتْ في كامِلِ زينَتِها ، الَّتي تَأْخُذُ الأَبْصارَ ، وَتَسْلُبُ العُقولَ وَالأَلْبابَ . وَكانَتْ الأَميرَةُ في غُرْفَتِها ، وَحَوْلَها الوَصيفاتُ ، وَقَدِ ارْتَدَتْ ثَوْبَ الزِّفافِ الفاخِرَ ، وَغَدَتْ رائِعَةً بارِعَةً كَالْوَرْدَةِ النّاضِرَةِ ، وَالزَّهْرَةِ اليانِعَةِ .

وَكانَ الخَدَمُ مُنْهَمِكينَ في إعْدادِ المَوائِدِ الحافِلَةِ بِأَلَذِّ الطَّعامِ ، وَأَعْذَبِ الشَّرابِ . حينَذاكَ وَلَجَتْ عُصْفورَتانِ القَصْرَ : إحْداهُما سَوْداءُ ، وَالأُخْرى بَيْضاءُ .

قَفَزَتا مِنْ إحْدى النَّوافِذِ ، وَطَفِقَتا تَطيرانِ مِنْ مَكانٍ إلى مَكانٍ ، كَأَنَّهُما تَبْحَثانِ عَنْ شَيْءٍ غابَ عَنْهُما مِنْ زَمَنٍ بَعيدٍ . وَلَمْ يَسْتَطِعْ أَحَدٌ مِنَ الحاضِرينَ أنْ يُمْسِكَ بِهِما . ظَلَّتا كَذَلِكَ حَتّى دَخَلَتا حُجْرَةَ الأَميرَةِ ؛ فَهَدَأَتْ

حَرَكَتُهُمـا ، وَاسْتَقَرَّتا على الأَرْضِ ، وَأَخَذَتْ كُلٌّ واحِدَةٍ مِنْهُما بِطَرَفٍ مِنْ أَطْرافِ ثَوْبِ الأَميرَةِ ، ثُمَّ طارَتا بِها مِنَ النّافِذَةِ ، وَسْطَ ذُهولِ الحاضِرينَ وَدَهْشَتِهِمْ !



وَلَيْسَ هُناكَ مَنْ يَعْرِفُ ماذا حَدَثَ بَعْدَ ذَلِكَ . وَلَيْسَ هُناكَ مَنْ يَعْرِفُ ما إذا كانَتْ حِكايَةُ البُرْتُقالاتِ الثَّلاثِ حَقيقَةً أَمْ خَيالاً :

كُلُّ ما نَعْرِفُهُ أَنَّها ظَلَّتْ حُلْمًا بَعيدَ المَنالِ ، يُراوِدُ الشَّبابَ جيلاً بَعْدَ جيلٍ !

لَوْ كانَ الفقْرُ رَجُلاً لَقَتَلْتُهُ

خَرَجَ العَمُّ « أحمد » مُبَكِّرًا كَعادَتِهِ كُلَّ صَباحٍ ؛ لِيَبْحَثَ عَنْ عَمَلٍ . وَمَضى في طَرِيقِهِ وَهُوَ يُفكِّرُ في حالِهِ : ماذا يَفْعَلُ وَالعيدُ على الأبْوابِ ، وَأطْفالُهُ الثَّمانِيَةُ لا يَجِدونَ ما يَسْتُرُهُمْ مِنْ ثِيابٍ ، أوْ ما يَسُدُّ جوعَهُمْ مِنْ طَعامٍ ، وَعَمُّ « أحمد » لا يَسْتَطيعُ أنْ يَفعَلَ شيْئًا ، فَمُنْذُ أكْثَرَ مِنْ شَهْرٍ وَهُوَ يَخْرُجُ كُلَّ يَوْمٍ لِلْبَحْثِ عَنْ عَمَلٍ وَلَكِنْ دونَ جَدْوى ، وَزَوْجَتُهُ نَفِدَ صَبْرُها ، وَتُهَدِّدُهُ كُلَّ يَوْمٍ بِتَرْكِهِ وَتَرْكِ الأوْلادِ إنْ لَمْ يَجِدْ عَمَلاً . لَقَدْ طَرَقَ جَميعَ الأبْوابِ ، وَسَأَلَ هُنا وَهُناكَ ، وَلَمْ يَجِدْ مَنْ يُساعِدُهُ . أخَذَ عَمُّ « أحمد » يُرَدِّدُ: « آهِ مِنْ هَذا الفَقْرِ الَّذي يُلازِمُني ! لَوكانَ الفَقْرُ رَجُلاً لَقَتَلْتُهُ !»

وَمَرَّ عَمُّ « أحمد » على مَنْزِلِ جارِهِ الثَّرِيِّ « حسّان » ، وَرَآهُ جالِسًا مَعَ أُسْرَتِهِ في الحَديقَةِ ، وَحَوْلَهُ الخَدَمُ يُقَدِّمونَ

الطَّعامَ وَالشَّرابَ ، وَالأطْفالُ يَتَصايَحونَ وَيَتَسابَقونَ في سَعادَةٍ وَمَرَحٍ .

تَأمَّلَ عَمُّ « أحمد » هَذا المَنْظَرَ ، وَاتَّجَهَ بِعَيْنَيْهِ إلى السَّماءِ داعِيًا رَبَّهُ : « يا مُوَزِّعَ الأرْزاقِ ، اُرْزُقْني مِنْ نِعْمَتِكَ ؛ فَالعيدُ قَدِ اقْتَرَبَ وَأطْفالي المَساكينُ يُريدونَ ثِيابًا وَطَعامًا ، وَأنا لا أمْلِكُ شيْئًا !»

أوْشَكَتِ الشَّمْسُ على الغُروبِ ، وَانْتَهى يَوْمٌ آخَرُ ، وَلَمْ يَجِدْ عَمُّ « أحمد » عَمَلاً ، وَبَدَأ اليَأسُ يَدْخُلُ قَلْبَهُ . وَتَذَكَّرَ أوْلادَهُ ؛ فَقَرَّرَ أنْ يَذْهَبَ إلى جارِهِ « حسّان » لِيَقْتَرِضَ مِنْهُ بَعْضَ المالِ .

كانَ « حسّان » بَخيلاً ، لا يُساعِدُ أحَدًا بِالرَّغْمِ مِنْ ثَرائِهِ ؛ فَقَدْ سَبَقَ أنْ طَلَبَ مِنْهُ عَمُّ « أحمد » المُساعَدَةَ أكْثَرَ مِنْ مَرَّةٍ ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَسْتَجِبْ لَهُ أبَدًا . وَقَرَّرَ عَمُّ « أحمد » أنْ يُحاوِلَ مَرَّةً أخْرى ، فَاقْتَرَبَ مِنْ مَنْزِلِ جارِهِ ، وَطَلَبَ مِنَ الخَدَمِ لِقاءَ سَيِّدِهِمْ . سَمِعَ عَمُّ « أحمدُ » « حسّانَ » يُحاوِلُ التَّهَرُّبَ مِنْهُ ، ذاكِرًا لِلْخَدَمِ أنَّهُ غَيْرُ مَوْجودٍ ،

فَاسْتَجْمَعَ شَجاعَتَهُ وَدَخلَ عَلَيْهِ قائِلاً :

« أَرْجوكَ ، يا سَيِّدي ، إِنَّني في حاجَةٍ شَديدَةٍ لِبَعْضِ المالِ ، وَسأَرُدُّهُ حينَ مَيْسَرَةٍ . أَرْجوكَ لا تَبْخَلْ عَلَيَّ ، وَأَعْطِني مِمّا أَعْطاكَ اللهُ .»

أَجابَهُ « حَسّان » : « لا يَخْدَعَنَّكَ مَظْهَري ، وَما أَعيشُ فيهِ مِنْ تَرَفٍ ، فَأَنا لَيْسَ مَعي ما أُعْطيهِ لَكَ . أَنا بِالكادِ أَسْتَطيعُ أَنْ أَسُدَّ احْتِياجاتِ أُسْرَتي . أُعْذُرْني .»

كانَ عَمُّ « أحمد » يَعْرِفُ أَنَّ « حسان » يَكْذِبُ ، وَلَكِنَّهُ تَظاهَرَ بِتَصْديقِهِ ، وَمَضى إِلى مَنْزِلِهِ .

كانَ الظَّلامُ قَدْ بَدأَ يَعُمُّ المَكانَ ، فَدَخلَ عَمُّ « أحمد » مَنْزِلَهُ عَلى أَطْرافِ أَصابِعِهِ ، مُسْتَخْفِيًا كَاللِّصِّ ، يُحاوِلُ البَحْثَ عَنْ إِجابَةٍ لِما تُمْطِرُهُ بِهِ زَوْجَتُهُ مِنْ أَسْئِلَةٍ ، وَما قَدْ تَصُبُّهُ عَلَيْهِ مِنْ تَقْريعٍ ، كَما يُحاوِلُ أَنْ يَتَجَنَّبَ نَظَراتِ أَطْفالِهِ الجِياعِ . وَكانَ مِنْ حُسْنِ حَظِّهِ أَنَّ الأَطْفالَ قَدْ غَلَبَهُمُ النَّوْمُ بِدونِ عَشاءٍ . فَذَهَبَ إِلى فِراشِهِمْ ، فَوَجَدَ شَخْصًا غَريبًا نائِمًا بِجِوارِهِمْ . أَيْقَظَ عَمُّ « أحمد » الرَّجُلَ

الغَريبَ ، وَسَأَلَهُ : « مَنْ أَنْتَ ؟ كَيْفَ دَخَلْتَ هُنا ؟»

« أَنا مَنْ يُلازِمُكَ كَظِلِّكَ . أَنا الفَقْرُ .»

« أَرْجوكَ ، اِبْتَعِدْ عَنّي . اُتْرُكْني وَشَأْني .»

« لا أَسْتَطيعُ ذَلِكَ .»

« إِذاً تَعالَ مَعي لِنَتَحَدَّثَ بَعيداً عَنِ الأَطْفالِ ؛ حَتّى لا نوقِظَهُمْ وَهُمْ جِياعٌ !»

خَرَجَ عَمُّ « أحمد » في سُكونِ اللَّيْلِ ، وَخَرَجَ الفَقْرُ وَراءَهُ ، وَأَخَذَ عَمُّ « أحمد » يُحاوِلُ إِقْناعَ الفَقْرِ بِالرَّحيلِ بَعيداً عَنْهُ ، وَلَكِنْ دونَ جَدْوى ، فَقَرَّرَ التَّخَلُّصَ مِنْهُ بِأَيِّ طَريقَةٍ .

ظَلَّ عَمُّ « أحمد » سائِراً وَالفَقْرُ خَلْفَهُ ، حَتّى ابْتَعَدَ عَنِ العُمْرانِ ، وَجَلَسَ في حَديقَةٍ في طَرَفِ المَدينَةِ . وَفَجْأَةً خَطَرَتْ لَهُ فِكْرَةٌ ، عَزَمَ عَلى تَنْفيذِها في الحالِ ، فَقالَ لِلْفَقْرِ : « حَسَنًا ، أَنْتَ لا تُريدُ أَنْ تُفارِقَني ، إِذاً أَرْجوكَ ساعِدْني في حَفْرِ الأَرْضِ ، وَشَقِّ قَناةٍ صَغيرَةٍ بِهَذِهِ الحَديقَةِ ، حَتّى يُكافِئَني صاحِبُها ؛ فَلَقَدْ طَلَبَ مِنّي ذَلِكَ



مِـرارًا ، وَلَكِنْ لَمْ أَكُنْ أَسْتَطيعُ أَنْ أَفْعَلَ ذَلِكَ وَحْدي . أَرْجوكَ ساعِدْني وَلَوْ مَرَّةً واحِدَةً !»

وافَقَ الفَقْرُ ، وَأَخَذَ الرَّجُلانِ يَعْمَلانِ بِهِمَّةٍ وَنَشاطٍ ، حَتّى حَفَرا حُفْرَةً عَميقَةً ، وَعِنْدَئِذٍ صاحَ عَمُّ « أحمد » : « لا أَسْتَطيعُ الاسْتِمْرارَ ، يَجِبُ أَنْ نَحْصُلَ عَلى قِسْطٍ مِنَ الرّاحَةِ ، وَإِلا لَنْ نَسْتَطيعَ أَنْ نُتِمَّ العَمَلَ . تَعالَ ، يا صَديقي ، كَيْ نَسْتَريحَ قَليلا تَحْتَ هَذِهِ الشَّجَرَةِ .»

جَلَسَ الرَّجُلانِ تَحْتَ الشَّجَرَةِ ، وَتَظاهَرَ عَمُّ « أحمد » بِالنَّوْمِ ؛ وَسَرْعانَ ما غَلَبَ النَّوْمُ الفَقْرَ ، فَنامَ نَوْمًا عَميقًا . وَفي الحالِ حَمَلَهُ عَمُّ « أحمد » وَ وَضَعَهُ في الحُفْرَةِ ، وَغَطّاهُ بِالتُّرابِ . وَما إِنْ دَفَنَهُ وَغَطّاهُ حَتّى راحَ يَبْحَثُ عَنْ حَجَرٍ كَبيرٍ ، لِيَضَعَهُ فَوْقَ الحُفْرَةِ ، حَتّى يَضْمَنَ أَنَّ الفَقْرَ لَنْ يَسْتَطيعَ الخُروجَ مِنْها أَبَدًا .

وَعِنْدَما وَجَدَ الحَجَرَ ، وَهَمَّ بِرَفْعِهِ ، وَجَدَ صُرَّةً كَبيرَةً تَحْتَهُ فَفَتَحَها ، وَلَمْ يَتَمالَكْ نَفْسَهُ مِنَ الدَّهْشَةِ عِنْدَما رَأى ما بِها ، فَالصُّرَّةُ مُمْتَلِئَةٌ بِالنُّقودِ وَالحُلِيِّ !

فَرِحَ عَمٌّ « أحمد » فَرَحًا شَديداً ، وَ وَضَعَ الحَجَرَ فَوْقَ الحُفْرَةِ الَّتي دَفَنَ الفَقْرَ بِها ، وَأَخَذَ النُّقودَ وَالحُلِيَّ وَاتَّجَهَ إلى مَنْزِلِهِ .

في الطَّريقِ ، وَجَدَ عَمٌّ « أحمد » مَحَلا مَفْتوحًا ، فَاشْتَرى طَعامًا لأَوْلادِهِ وَلِزَوْجَتِهِ . وَفَوْرَ وُصولِهِ إلى المَنْزِلِ أَيْقَظَ الجَميعَ ، فَجَلَسوا يَأْكُلونَ وَيَتَسامَرونَ في غِبْطَةٍ وَسُرورٍ .

كانَتْ فَرْحَةُ الجَميعِ كَبيرَةً ، وَكانَ عَمٌّ « أحمد » سَعيداً لِسَعادَتِهِمْ ، وَشَبِعَ الأَطْفالُ فَناموا نَوْمًا عَميقًا هادِئًا . وَجَلَسَ عَمٌّ « أحمد » يَقُصُّ عَلى زَوْجَتِهِ ما حَدَثَ ، وَيَتَشاوَرانِ في مَشْروعاتِهِما المُسْتَقْبَلَةِ . قَرَّرَ عَمٌّ « أحمد » أَنْ يَبْنِيَ مَنْزِلاً جَديداً يَتَّسِعُ لأَبْنائِهِ الثَّمانِيَةِ ، وَطَلَبَتْ مِنْهُ زَوْجَتُهُ أَنْ يَبْدَأَ مَشْروعًا صَغيراً ، يَضَعُ فيهِ رَأْسَ المالِ الَّذي يَمْلِكُهُ ؛ وَذَلِكَ بِأَنْ يَبْنِيَ حانوتًا بِجانِبِ المَنْزِلِ الجَديدِ ، يَبيعُ فيهِ الحَلْوى لِلأَطْفالِ ، وَما يَحْتاجُ إِلَيْهِ سُكّانُ الحَيِّ .

بَعْدَ فَتْرَةٍ قَصيرَةٍ كانَ المَنْزِلُ الجَديدُ مَبْنِيا ، وَبِجِوارِهِ

الحانوتُ ، يَعْمَلُ فيهِ عَمٌّ « أحمد » بِجِدٍّ وَنَشاطٍ ، تُعاوِنُهُ زَوْجَتُهُ وَأَوْلادُهُ الكِبارُ حينَ يَفْرَغونَ مِنْ دِراسَتِهِمْ .

وَلَمْ يَمْضِ وَقْتٌ طَويلٌ حَتّى راجَتْ تِجارَةُ عَمٍّ « أحمد » وَكَثُرَتْ أَرْباحُهُ ؛ فَقَدْ كانَ تاجِراً أَميناً صادِقًا ، لا يُغالي في السِّعْرِ ، وَلا يَسْتَغِلُّ حاجَةَ النّاسِ . وَنَعِمَ مَعَ أُسْرَتِهِ بِراحَةِ البالِ ، وَهُدوءِ النَّفْسِ ، وَرَغَدِ العَيْشِ .

وَكانَ جارُهُ « حسّان » يَرْقُبُ ما يَحْدُثُ ؛ فَيَحْتَرِقُ قَلْبُهُ مِنْ شِدَّةِ الغَيْظِ ، وَيَكادُ يَنْفَجِرُ صَدْرُهُ مِنْ شِدَّةِ الحِقْدِ ، وَيَقولُ في نَفْسِهِ :

« كَيْفَ تَبَدَّلَتْ حالُ ‹‹ أحمد ›› ، وَانْتَقَلَ مِنَ الفَقْرِ إلى الغِنى ، وَمِنَ الجوعِ إلى الشِّبَعِ ، وَمِنَ الحُزْنِ إلى الفَرَحِ ؟ لا بُدَّ أَنْ أَذْهَبَ إِلَيْهِ ، وَأَعْرِفَ مِنْهُ سَبَبَ هَذا التَّغْييرِ . »

جَمَعَ « حسّان » بَعْضَ الهَدايا ، وَذَهَبَ إلى حانوتِ عَمٍّ « أحمد » مُتَوَدِّداً بَشوشًا عَلى غَيْرِ عادَتِهِ ؛ دُهِشَ عَمٌّ « أحمد » لِذَلِكَ ، ماذا حَدَثَ ؟ إِنَّها أَوَّلُ مَرَّةٍ

يَجِدُ « حَسّان » لَطيفًا . أوَّلُ مَرَّةٍ في حَياتِهِ يَحْمِلُ إلَيْهِ الهَدايا . وَلَكِنْ سَرْعانَ ما زالَتْ دَهْشَتُهُ عِنْدَما عَرَفَ سِرَّ حُضورِهِ .

أخَذَ « حسّان » يَسْألُ عَمَّ « أحمد » ، وَيُلِحُّ في السُّؤالِ؛ لِيَعْرِفَ مِنْ أيْنَ لَهُ هَذا ، وَعَمُّ « أحمد » يُراوِغُهُ في الإجابَةِ وَيَتَهَرَّبُ مِنْهُ . وَفَجْأةً خَطَرَتْ لَهُ فِكْرَةٌ ؛ تَذَكَّرَ عَمُّ « أحمد » كَمْ كانَ « حسّان » بَشِعًا ، غَليظَ القَلْبِ ، مُجَرَّدًا مِنَ الشُّعورِ – تَذَكَّرَ كُلَّ ذَلِكَ وَقَرَّرَ أنْ يَنْتَقِمَ مِنْهُ .

نَظَرَ عَمُّ « أحمد » إلى « حَسّان » قائلا : « لَقَدْ قَرَّرْتُ عَدَمَ إخْبارِ أحَدٍ عَنْ مَصْدَرِ ثَرائي ، وَلَكِنَّكَ جارٌ قَديمٌ ، وَسَأطْلِعُكَ عَلى سِرٍّ أرْجو أنْ تَحْتَفِظَ بِهِ لِنَفْسِكَ .»

سَألَهُ « حسّان » بِلَهْفَةٍ : « ما هُوَ ؟ تأكَّدْ ، يا صَديقي ، أنّني لَنْ أفْشِيَ سِرَّكَ أبَداً .»

« في الواقِعِ أنّني وَجَدْتُ كَنْزاً ضَخماً هُوَ سَبَبُ ثَرْوَتي.»

« كَنْزٌ ؟ أيْنَ ؟ وَمَتى ؟ قُلْ ، يا صَديقي ، قُلْ .»

« هَلْ تَعْرِفُ الحَديقَةَ المُنْعَزِلَةَ القائِمَةَ في طَرَفِ المَدينَةِ ؟

في النّاحِيَةِ الشَّرْقِيَّةِ مِنْها حَجَرٌ كَبيرٌ ، إذا رَفَعْتَهُ وَجَدْتَ هَذا الكَنْزَ . وَلَكِنْ لا تُخْبِرْ أحَداً ، وَلا تَأخُذْ كَثيراً مِنْهُ . خُذْ فَقَطْ ما يَكْفي حاجَتَكَ .»

« شُكْراً ، يا صَديقي . شُكْراً ، يا خَيْرَ الأصْدِقاءِ .»

وَفي ظَلامِ اللَّيْلِ ، تَسَلَّلَ « حسّان » مِنْ مَنْزِلِهِ ، وَذَهَبَ إلى الحَديقَةِ ، وَأخَذَ يَبْحَثُ عَنِ الحَجَرِ حَتّى وَجَدَهُ .

كانَ « حسّان » طَمّاعاً ، لِذَلِكَ أحْضَرَ مَعَهُ عَشَرَةَ أجْوِلَةٍ كَبيرَةٍ وَصُنْدوقَيْنِ ؛ لِيَضَعَ كُلَّ ما تَسْتَطيعُ أنْ تَصِلَ إلَيْهِ يَداهُ .

بَدَأ « حسّان » يُزَحْزِحُ الحَجَرَ حَتّى دَفَعَهُ ، ثُمَّ أخَذَ يَرْفَعُ التُّرابَ ، وَيَتَحَسَّسُ ما تَحْتَهُ ، وَكُلَّما شَعَرَ بِشَيْءٍ تَحْتَ يَدَيْهِ زادَ حَماسُهُ ، وَكَبُرَ جَشَعُهُ ، وَتَزايَدَ طَمَعُهُ .

وَكَمْ كانَتْ دَهْشَتُهُ عِنْدَما رَأى رَجُلاً يَنْهَضُ عَلى قَدَمَيْهِ ، وَيَقِفُ مُبْتَسِماً . شَعَرَ « حسّان » بِالرُّعْبِ يَمْلأُ قَلْبَهُ ، وَأخَذَ يَصيحُ :

« مَنْ أنْتَ ؟ مَنْ أنتَ ؟»

« أنا الفَقْرُ ، يا صَديقي . لَقَدْ كُنْتُ مَدْفوناً في هَذِهِ الحُفْرَةِ ، وَلَكِنَّكَ أخْرَجْتَني .. فَشُكْرًا لَكَ ، لَنْ أنسى لَكَ صَنيعَكَ أبَداً ، وَلِذَلِكَ سَألازِمُكَ مُنْذُ هَذِهِ اللَّحْظَةِ .»

« أرْجوكَ ابْتَعِدْ عَنّي ! لا أريدُكَ .»

« فاتَ الأوانُ ، يا صَديقي .»

الباحِثُ عَنِ الحَظِّ

وَرِثَ الأخَوانِ عَنْ أبيهِما مالاً وَفيراً ، اقْتَسَماهُ فيما بَيْنَهُما . وَكانَ الأكْبَرُ ، وَاسْمُهُ « محمد » ، مُدَبِّراً في نِظامٍ ، حَريصاً في غَيْرِ تَقْتيرٍ ، طَيِّباً عَطوفاً . أخَذَ يَعْمَلُ في تَنْمِيَةِ المالِ الّذي وَرِثَهُ بِالجَهْدِ وَالعَرَقِ .

أمّا أخوهُ الأصْغَرُ « سامي » فَقَدْ أغْراهُ المالُ ، فَراحَ يُنْفِقُ بِبَذَخٍ شَديدٍ ، وَيُسْرِفُ إسْرافًا بالِغًا ، فَتَسَرَّبَ المالُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ ، وَتَبَدَّدَ كُلُّهُ ، وَأصْبَحَ فَقيراً مُعْدِماً .

كانَ « سامي » كَسولاً ، لا يُحِبُّ العَمَلَ ، يَسْهَرُ اللَّيْلَ ، وَيَنامُ النَّهارَ ، فَلا يَصْحو إلا الظُّهْرَ ، عِنْدَما تَكونُ الشَّمْسُ في كَبِدِ السَّماءِ ، وَيَقْضي بَقِيَّةَ النَّهارِ جالِسًا في ظِلِّ شَجَرَةٍ ، مَعَ بَعْضِ أصْدِقائِهِ ، يَلْعَبُ الوَرَقَ ، وَيَسْتَمِعُ إلى أحاديثِهِمْ .

وَعِنْدما اشْتَدَّ الفَقْرُ عَلَيْهِ ، وَعَضَّهُ بِنابِهِ ، وَلَمْ يَجِدْ ما يُنْفِقُ عَلى نَفْسِهِ وَأَصْحابِهِ – هَداهُ تَفْكيرُهُ السَّيِّئُ إلى الاعْتِداءِ عَلى مَنْزِلِ أخيهِ ، وَسَرِقَةِ ما فيهِ ، فَاسْتَراحَ إلى هَذا التَّفْكيرِ ، وَانْتَظَرَ حَتّى يَهْبِطَ الظَّلامُ .

وَعِنْدَما حَلَّ الظَّلامُ ، أَسْرَعَ فَاخْتَبَأَ في مَخْزَنٍ لِلْحُبوبِ ، حَتّى إذا ما سادَ السُّكونُ ، وَسَكَتَتِ الضَّوْضاءُ ، وَأَيْقَنَ أَنَّ النّاسَ نِيامٌ ، حاوَلَ أَنْ يَنْقُلَ بَعْضَ الأَكْياسِ المُمْتَلِئَةِ بِالْحُبوبِ ، واحِداً بَعْدَ الآخَرِ . وَما إنْ أَمْسَكَ أَوَّلَها حَتّى كانَتْ دَهْشَتُهُ بالِغَةً ؛ فَقَدْ رَأى عَيْنَيْنِ تَنْظُرانِ إلَيْهِ في الظَّلامِ ، ثُمَّ تَبَيَّنَ أَنَّ رَجُلاً غَريباً ، أَخَذَ يُهَدِّدُهُ وَيَتَوَعَّدُهُ إنْ لَمْ يَتْرُكِ الكيسَ في مَكانِهِ .

سَأَلَهُ « سامي » مُنْدَهِشاً : « مَنْ أَنْتَ ؟ »

« أَنا حَظُّ أَخيكَ ، أُحافِظُ عَلى مالِهِ ، وَأَحْمي مَنْزِلَهُ . »

« وَأَيْنَ حَظّي ؟ »

أَجابَهُ الرَّجُلُ : « هُناكَ ، إنَّهُ يَسْكُنُ الجَبَلَ الشَّرْقِيَّ . اذْهَبْ إلَيْهِ وَاطْلُبْ مِنْهُ أَنْ يُحافِظَ عَلَيْكَ كَما أُحافِظُ أَنا

عَلى أَخيكَ . فَيَبْدو أَنَّهُ قَدْ نَسِيَكَ . »

شَكَرَهُ « سامي » ، وَقَرَّرَ الرَّحيلَ إلى الجَبَلِ الشَّرْقِيِّ لِلْبَحْثِ عَنْ حَظِّهِ ، الَّذي أَهْمَلَهُ وَنَسِيَهُ ، فَساءَتْ حالُهُ بَعْدَ أَنْ تَبَدَّدَ مالُهُ .

كانَ الطَّريقُ طَويلاً وَعْراً ، وَكانَ عَلَيْهِ أَنْ يَجْتَهِدَ في سَيْرِهِ ، وَأَنْ يَعْبُرَ غابَةً كَبيرَةً كَثيفَةً . وَفي الغابَةِ رَأى أَسَداً يُقْبِلُ عَلَيْهِ مِنْ بَعيدٍ ؛ فَارْتاعَ وَفَزِعَ ، وَقَفَزَ فَوْقَ شَجَرَةٍ عالِيَةٍ حَتّى لا يُدْرِكَهُ الأَسَدُ ، أَوْ يَجِدَ فَريسَةً غَيْرَهُ .



وَيَئِسَ الأَسَدُ مِنْ نُزولِهِ ، فَالْتَفَتَ عَنْ يَمينِهِ فَلَمَحَ غَزالاً يَجْري ، فَجَرى وَراءَهُ وَتَمَكَّنَ مِنَ اللَّحاقِ بِهِ ، ثُمَّ افْتَرَسَهُ. وَلَكِنَّهُ ما كادَ يَفْرُغُ مِنْ ذَلِكَ حَتّى رَفَعَ رَأْسَهُ ناحِيَةَ « سامي » كَأَنَّهُ يَنْتَظِرُ هُبوطَهُ .

بادَرَهُ « سامي » قائِلاً : « إِنَّني في مُهِمَّةٍ شاقَّةٍ ، أَبْحَثُ عَنْ حَظّي ، أَرْجوكَ اتْرُكْني حَتّى أَعْثُرَ عَلَيْهِ ؛ لأَنَّهُ يَبْدو أَنَّهُ قَدْ نَسِيَني .»

وافَقَ الأَسَدُ عَلى أَنْ يَتْرُكَهُ يَسْتَكْمِلُ بَحْثَهُ ، عَلى شَرْطِ أَنْ يَسْأَلَ حَظَّهُ :

« لِماذا لا يَشْبَعُ الأَسَدُ أَبَداً بِالرَّغْمِ مِنْ وَفْرَةِ الطَّعامِ وَحُصولِهِ عَلَيْهِ ؟»

فَوَعَدَهُ « سامي » أَنْ يَأْتِيَهُ بِالإِجابَةِ عِنْدَ عَوْدَتِهِ ، ثُمَّ هَبَطَ مِنْ فَوْقِ الشَّجَرَةِ آمِنًا ، وَسارَ في طَريقِهِ هادِئًا .

كانَ الطَّريقُ طَويلاً ، وَكانَ « سامي » مُرْهَقًا جائِعًا ، فَأَبْصَرَ في نِهايَةِ الغابَةِ حَقْلاً ، وَرَأى فَلاحًا يَزْرَعُ أَرْضَهُ ،

فَقَرَأَ عَلَيْهِ السَّلامَ ، وَطَلَبَ مِنْهُ أَنْ يُضَيِّفَهُ ؛ فَأَكْرَمَهُ الفَلاحُ ، وَقَدَّمَ لَهُ مِنَ الطَّعامِ وَالشَّرابِ ما حَضَرَهُ ، ثُمَّ دَعاهُ لِلْمَبيتِ وَقَضاءِ اللَّيْلِ في مَنْزِلِهِ .

وَفي الصَّباحِ ، عَرَضَ عَلَيْهِ الفَلاحُ أَنْ يَظَلَّ مَعَهُ ، لِيُساعِدَهُ في زِراعَةِ الأَرْضِ ، عَلى أَنْ يُعْطِيَهُ أَجْرًا سَخِيًّا مُقابِلَ ذَلِكَ .

اِعْتَذَرَ « سامي » قائِلاً إِنَّ عَلَيْهِ أَنْ يَبْحَثَ عَنْ حَظِّهِ . فَقالَ لَهُ الفَلاحُ :

« اِسْأَلْهُ لِماذا لا تُنْتِجُ أَرْضي إِنْتاجًا وَفيرًا ، عَلى الرَّغْمِ مِمّا أَبْذُلُهُ فيها مِنْ جَهْدٍ ؟»

فَوَعَدَهُ أَنْ يَأْتِيَهُ بِالإِجابَةِ عِنْدَ عَوْدَتِهِ ، وَشَكَرَهُ ثُمَّ مَضى في طَريقِهِ .

كانَتِ الرِّحْلَةُ شاقَّةً مُجْهِدَةً ؛ فَالطَّريقُ طَويلٌ ، كَأَنَّهُ لا يُريدُ الانْتِهاءَ ، وَ « سامي » لَمْ يَتَعَوَّدِ القِيامَ بِأَيِّ مَجْهودٍ يُرْهِقُهُ وَيُتْعِبُهُ ، كَما لَمْ يَأْلَفِ الجوعَ وَالعَطَشَ - فَما إِنْ

قَرَصَهُ الجوعُ ، وَجَفَّ حَلْقُهُ مِنَ العَطَشِ - حَتّى أخَذَ يَبْحَثُ عَنْ مَأوًى يَلْجأ إلَيْهِ ، فَلَمْ يَجِدْ إلّا قَصْراً شامِخًا ، فَدَخَلَ وَطَلَبَ مِن صاحِبِهِ أنْ يُطْعِمَهُ وَيَسْقِيَهُ ، وَأنْ يَسْمَحَ لَهُ بِقَضاءِ اللَّيْلِ مَعَهُ .

كانَ صاحِبُ هَذا القَصْرِ مَلِكًا فاسِداً ظالِمًا ، كَرِهَهُ النّاسُ ، وَابْتَعَدوا عَنْهُ ، وَصارَ يَعيشُ وَحيداً في هَذا القَصْرِ المَنيفِ ؛ فَفَرِحَ بِقُدومِ « سامي » ، وَطَلَبَ مِنْهُ أنْ يُقيمَ مَعَهُ في القَصْرِ ، لِيَكونَ لَهُ خَيْرَ نَديمٍ ، يُسامِرُهُ وَيُسَلّيهِ ، فَأبى هَذا العَرْضَ عَلى الرَّغْمِ مِمّا فيهِ مِنْ إغْراءٍ ؛ لأنَّهُ يَبْحَثُ عَنْ حَظِّهِ ، وَيَظُنُّ أنَّهُ يَجِدُ عِنْدَهُ أفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ وَأعْظَمَ . فَطَلَبَ مِنْهُ المَلِكُ أنْ يَسْألَ حَظَّهُ :

« لِماذا يَبْتَعِدُ النّاسُ عَنِ المَلِكِ ، وَيَدَعونَهُ يَعيشُ وَحيداً ، رَغْمَ مُحاوَلاتِهِ التَّقَرُّبَ إلَيْهِمْ ؟» فَوَعَدَهُ بِأنْ يَأتِيَهُ بِجَوابِ سُؤالِهِ في طَريقِ عَوْدَتِهِ ، وَشَكَرَ لَهُ حُسْنَ ضِيافَتِهِ ، ثُمَّ مَضى في طَريقِهِ لِلْبَحْثِ عَنْ حَظِّهِ .

لاحَتْ « لِسامي » مَشارِفُ الجَبَلِ الشَّرْقِيِّ ، فَجَدَّ في سَيْرِهِ ، حَتّى وَصَلَ إلى سَفْحِهِ ، وَكانَ عَلَيْهِ أنْ يَتَسَلَّقَهُ حَتّى يَصِلَ إلى قِمَّتِهِ . وَلَمْ تَكُنْ هَذِهِ المُهِمَّةُ سَهْلَةً وَلا مَيْسورَةً ، لَكِنَّ الأمَلَ أغْراهُ بِالعَمَلِ . وَبَعْدَ عَناءٍ شَديدٍ اسْتَطاعَ الوُصولَ إلى قِمَّةِ الجَبَلِ .

وَهُناكَ ، وَجَدَ حَظَّهُ مُسْتَغْرِقًا في سُباتٍ عَميقٍ ، فَرَكَلَهُ بِشِدَّةٍ حَتّى أيْقَظَهُ ، وَعاتَبَهُ عَلى نَوْمِهِ وَعَدَمِ العِنايَةِ بِهِ ، كَما يَفْعَلُ حَظُّ أخيهِ ، ثُمَّ طَلَبَ مِنْهُ أنْ يَظَلَّ دائِمًا مُسْتَيْقِظًا ، وَلا يَغْفُوَ أبَداً ، وَلا يُهْمِلَهُ ، فَوَعَدَهُ الحَظُّ بِأنْ يَفْعَلَ ذَلِكَ .

اِغْتَبَطَ « سامي » اغْتِباطًا شَديداً ، وَاعْتَقَدَ أنَّ الحَياةَ قَدِ ابْتَسَمَتْ لَهُ ، فَقَرَّرَ الإسْراعَ في العَوْدَةِ . وَكادَ فَرَحُهُ يُنْسيهِ الأسْئِلَةَ الَّتي يَحْمِلُها ، وَالإجابَةَ الَّتي يَنْتَظِرُها أصْحابُهُ - فَالْتَفَتَ إلى حَظِّهِ ، وَسَألَهُ :

« لِماذا يَبْتَعِدُ النّاسُ عَنِ المَلِكِ عَلى الرَّغْمِ مِنْ مُحاوَلَتِهِ التَّقَرُّبَ إلَيْهِمْ ؟»

أجابَهُ : « قُلْ لِهذا المَلِكِ : إنَّ عَلَيْهِ أنْ يَنْشُرَ العَدْلَ بَدَلاً مِنَ الظُّلْمِ ، وَالحُبَّ بَدَلاً مِنَ الكُرْهِ ، وَالمَوَدَّةَ وَالتَّفاهُمَ بَدَلاً مِنَ الشِّدَّةِ وَالقَسْوَةِ – وَعِنْدَئِذٍ سَيُحِبُّهُ النّاسُ وَيَسْعَوْنَ إلَيْهِ .»

سَألَهُ « سامي » السُّؤالَ الثّانِيَ : « لِماذا لا تُنْتِجُ أرْضُ الفَلاحِ إنْتاجاً وَفيراً ، عَلى الرَّغْمِ مِمّا يَبْذُلُهُ مِنْ جَهْدٍ ؟»

أجابَهُ الحَظُّ : « عَلى الفَلاحِ أنْ يَسْتَخْرِجَ الكَنْزَ المَدْفونَ في أرْضِهِ ، وَعِنْدَئِذٍ سَتُصْبِحُ الأرْضُ أكْثَرَ خُصوبَةً ، وَأغْزَرَ إنْتاجاً .»

أخيراً سَألَهُ السُّؤالَ الثّالِثَ : « لِماذا لا يَشْعُرُ الأسَدُ بِالشِّبَعِ أبَداً ؟»

أجابَهُ الحَظُّ : « إذا الْتَهَمَ الأسَدُ رَجُلاً فاسِداً – فَإنَّهُ سَيَشْعُرُ بِالشِّبَعِ بَعْدَ ذَلِكَ .»

وَبَعْدَ حُصولِهِ عَلى الإجاباتِ الثَّلاثِ ، وَ وَعْدِ الحَظِّ بِأنْ يَظَلَّ يَقِظاً – قَرَّرَ « سامي » العَوْدَةَ مِنْ حَيْثُ أتى ، فَهَبَطَ إلى سَفْحِ الجَبَلِ .

وَفي طَريقِ عَوْدَتِهِ مَرَّ عَلى قَصْرِ المَلِكِ وَأعْطاهُ الإجابَةَ ، فَأكْرَمَهُ المَلِكُ ؛ وَطَلَبَ مِنْهُ أنْ يَظَلَّ مَعَهُ بَعْضَ الوَقْتِ .

عاشَ « سامي » في قَصْرِ المَلِكِ مُعَزَّزاً مُكَرَّماً ، في تَرَفٍ وَنَعيمٍ ؛ فَقَدِ اتَّخَذَهُ المَلِكُ صَديقاً يَأتَمِنُهُ عَلى مالِهِ وَأسْرارِهِ ، وَيُفْضي إلَيْهِ بِمَشاكِلِهِ .

وَحاوَلَ المَلِكُ العَمَلَ بِنَصيحَةِ الحَظِّ ، وَبَذَلَ جَهْدَهُ لِيَنْشُرَ الحُبَّ وَالعَدْلَ وَالمَوَدَّةَ ؛ حَتّى بَدَأ الشَّعْبُ يُقْبِلُ عَلَيْهِ ، وَيَقْتَرِبُ مِنْهُ ، وَلَمْ يَعُدْ يَشْعُرُ بِالوَحْدَةِ القاتِلَةِ الَّتي كانَ يَعيشُ فيها مِنْ قَبْلُ . وَشَعَرَ المَلِكُ أنَّ الفَضْلَ في ذَلِكَ إنَّما يَرْجِعُ إلى « سامي » – فَأغْدَقَ عَلَيْهِ المالَ ، وَأحْسَنَ مُعامَلَتَهُ .

وَلَكِنَّ « سامي » لَمْ يَتَغَيَّرْ طَبْعُهُ ، وَلَمْ يَتَبَدَّلْ خُلُقُهُ ، فَما زالَ هُوَ الشَّخْصَ الفاسِدَ الَّذي أرادَ ذاتَ يَوْمٍ أنْ يَسْرِقَ مالَ أخيهِ . فَلَمّا شَعَرَ بِالحَنينِ إلى بَلَدِهِ ، وَهَمَّ بِالعَوْدَةِ إلَيْها – راوَدَتْهُ نَفْسُهُ الأمّارَةُ بِالسّوءِ أنْ يَنْتَهِبَ مِنْ خَزائِنِ المَلِكِ ما يَسْتَطيعُ حَمْلَهُ مِنْ مالٍ وَجَواهِرَ .

وَحينَما انْتَصَفَ اللَّيْلُ ، تَسَلَّلَ إلى خَزائِنِ المَلِكِ الَّتي يَأْتَمِنُهُ عَلَيْها ، وَانْتَقى مِنْها ما غَلا ثَمَنُهُ ، وَخَفَّ وَزْنُهُ ، ثُمَّ خَرَجَ مِنَ القَصْرِ في جُنْحِ الظَّلامِ عائِداً إلى بَلَدِهِ .

وَلكِنَّهُ تَذَكَّرَ قِصَّةَ الفَلاحِ وَأَرْضِهِ الَّتي لا تُثْمِرُ ، وَقَرَّرَ الذَّهابَ إلَيْهِ ، لا لِيُعْطِيَهُ الإجابَةَ عَلى سُؤالِهِ وَلكِنْ طَمَعًا في كَنْزِهِ المَدْفونِ في الأَرْضِ .

وَصَلَ « سامي » إلى حَقْلِ الفَلاحِ ، فَوَجَدَهُ لا يَزالُ يَعْمَلُ بِجِدٍّ وَنَشاطٍ ، فَبَلَّغَهُ جوابَ سُؤالِهِ ، وَقالَ لَهُ إنَّهُ سَيُساعِدُهُ في البَحْثِ عَنِ الكَنْزِ المَدْفونِ في الأَرْضِ ؛ فَشَكَرَهُ الفَلاحُ عَلى شَهامَتِهِ ، وَاسْتَضافَهُ في مَنْزِلِهِ .

أَخَذَ الفَلاحُ يُعاوِنُهُ « سامي » يَعْمَلانِ بِجِدٍّ وَاجْتِهادٍ ، وَيُقَلِّبانِ الأَرْضَ تَقْليبًا جَيِّداً ، وَيَعْزِقانِها عَزْقًا طَيِّبًا ، فَتَعَرَّضَ باطِنُها لِلْهَواءِ وَأَشِعَّةِ الشَّمْسِ ، وَاقْتَلَعَ العَزْقُ ما كانَ فيها مِنْ أَعْشابٍ وَحَشائِشَ ضارَّةٍ ، فَغَدَتْ نَظيفَةً طَيِّبَةً ، مُبَشِّرَةً بِجَوْدَةِ الزِّراعَةِ ، وَغَزارَةِ الإنْتاجِ .

وَلَمْ يَعْثُرْ « سامي » عَلى كَنْزٍ مَدْفونٍ كَما أَخْبَرَهُ الحَظُّ .
وَفَهِمَ الفَلاحُ بِفِطْرَتِهِ السَّليمَةِ ما عَناهُ الحَظُّ ، وَما قَصَدَ إلَيْهِ ، مِنْ أَنَّ الكَنْزَ هُوَ تَقْليبُ الأَرْضِ وَعَزْقُها ، وَلَمْ يَفْهَمْ « سامي » لأَنَّ فِطْرَتَهُ كانَتْ مُشَوَّهَةً بِفَسادِهِ ، وَسوءِ فِعْلِهِ ؛ فَأَحَسَّ بِالخَيْبَةِ تَكْتُمُ أَنْفاسَهُ وَتَكادُ تَخْنُقُهُ ، لكِنَّهُ كَظَمَ غَيْظَهُ ، وَقالَ في نَفْسِهِ :

« يَكْفيني ما حَصَلْتُ عَلَيْهِ مِنْ مالٍ مِنْ قَصْرِ المَلِكِ ، وَسَأَعودُ إلى بَلَدي ؛ لأُنْفِقَ بِبَذَخٍ ، وَلا أُرْهِقَ نَفْسي بِالعَمَلِ ، وَالمُثابَرَةِ عَلَيْهِ ، كَما يَفْعَلُ أَخي ، الَّذي يَصِلُ لَيْلَهُ بِنَهارِهِ في جِدٍّ وَنَشاطٍ .»

اِسْتَأْذَنَ « سامي » الفَلّاحَ في أَنْ يَنْصَرِفَ عَنْهُ ؛ لِيَعودَ إلى بَلَدِهِ ، وَحاوَلَ الفَلّاحُ الطَّيِّبُ أَنْ يُبْقِيَهُ مَعَهُ ؛ فَقَدْ لانَتْ مَعيشَتُهُ ، وَطابَتْ حَياتُهُ بِجَوابِهِ عَنْ سُؤالِهِ ، وَمِنْ حَقِّهِ أَنْ يُقاسِمَهُ هذِهِ الحَياةَ الهانِئَةَ الرَّغيدَةَ ، لكِنَّ « سامي » صَمَّمَ عَلى الذَّهابِ ؛ لأَنَّهُ لا يُطيقُ حَياةَ الكَدِّ وَالاجْتِهادِ ، وَيَأْلَفُ حَياةَ الكَسَلِ وَالبَلادَةِ .

وَبَيْنَما « سامي » في طَريقِ عَوْدَتِهِ - تذَكَّرَ أنَّ الأسَدَ يَنْتَظِرُهُ لِيَتَلَقّى جَوابَ سُؤالِهِ ؛ فَعَرَّجَ عَلى الغابَةِ ، وَ وَجَدَ الأسَدَ تَحْتَ شَجَرَةٍ ، يَتَفَيَّأُ ظِلالَها ، تَبْدو عَلَيْهِ الحَسْرَةُ ، وَيَنْطِقُ ، وَجْهُهُ بِالضّيقِ وَالألَمِ .

فَلَمّا رَآهُ مُقْبِلا تَهَلَّلَتْ أساريرُ وَجْهِهِ ، فَهَذا الرَّجُلُ لا شَكَّ في أنَّهُ يَأتيهِ الآنَ بِالجَوابِ القاطِعِ . فَما إنْ وَقَفَ قُبالَتَهُ حَتّى ابْتَدَرَهُ الأسَدُ قائِلا : « ماذا قالَ لَكَ الحَظُّ جَواباً عَنْ سُؤالي ؟ »

أجابَهُ « سامي » : « إنَّ عَلَيْكَ أنْ تَلْتَهِمَ رَجُلا فاسِداً ، وَسَوْفَ تَشْعُرُ بَعْدَ ذَلِكَ بِالشِّبَعِ دائِماً . »

نَظَرَ إلَيْهِ الأسَدُ نَظْرَةً يَشيعُ فيها الرِّضا وَالاطْمِئْنانُ ، وَقالَ لَهُ : « الحَمْدُ للهِ الَّذي ساقَكَ إلَيَّ ، وَلَمْ يُرْهِقْني بِالبَحْثِ وَالعَناءِ . »

قالَ « سامي » وَقَدْ ظَنَّ أنَّ الأسَدَ مَسْرورٌ مِنْهُ : « لَقَدْ عاوَنْتُكَ في البَحْثِ عَنْ جَوابٍ لِسُؤالِكَ . وَالآنَ عَلَيَّ أنْ

أنْصَرِفَ . »

قالَ الأسَدُ : « لا تَعْجَلْ ، يا صاحِبي . إنَّني لَنْ أجِدَ في هَذِهِ الغابَةِ مَنْ هُوَ أكْثَرُ فَساداً مِنْكَ . »

وَهَجَمَ عَلَيْهِ ، وَأمْسَكَهُ بَيْنَ مَخالِبِهِ ، وَافْتَرَسَهُ !

الأميرُ المسْحورُ

في قَديمِ الزَّمانِ ، كانَ هُناكَ مَلِكٌ عادِلٌ عَظيمٌ ، يُحِبُّ شَعْبَهُ حُبًّا جَمًّا ، وَشَعْبُهُ يُبادِلُهُ الحُبَّ وَالمَوَدَّةَ ، وَيَتَفانى في الإِخْلاصِ لَهُ وَالوَلاءِ ؛ فَهُوَ يَقودُهُ في هُدوءٍ وَاطْمِئْنانٍ ، وَيَبْذُلُ وُسْعَهُ في أَنْ يُوَفِّرَ لَهُ الرَّخاءَ وَالرَّفاهِيَةَ ، وَالكَرامَةَ وَالحُرِّيَّةَ ، لا يَطْغى قَوِيٌّ عَلى ضَعيفٍ ، وَلا يَسْتَبِدُّ غَنِيٌّ بِفَقيرٍ ، بَلْ يَعيشُ الجَميعُ في رِضًا وَسَعادَةٍ ، وَيَشْعُرُ الجَميعُ بِالفَخْرِ وَالعِزَّةِ فيما يُقَدِّمونَهُ مِنْ إِنْتاجٍ .

وَلَكِنَّ المَلِكَ أَصْبَحَ يَوْمًا مَشْغولَ البالِ ، ساهِمَ النَّظْرَةِ شارِدَ الفِكْرَةِ ؛ فَقَدْ قَضى اللَّيْلَةَ حائِرًا يُفَكِّرُ في أَمْرِ بَناتِهِ الثَّلاثِ . إِنَّهُنَّ جَميلاتٌ فاتِناتٌ ، عاقِلاتٌ رَزيناتٌ ، تَقَدَّمَ لِخِطْبَتِهِنَّ كَثيرٌ مِنَ الأُمَراءِ وَالأَغْنِياءِ ، وَهُوَ حائِرٌ لا يَدْري مَنْ يَخْتارُ بَيْنَ المُتَقَدِّمينَ !

تَوَصَّلَ المَلِكُ إِلى قَرارٍ ؛ فَأَمَرَ الأَميراتِ الثَّلاثَ وَقالَ

لَهُنَّ : « غَدًا صَباحًا ، سَتَقِفْنَ في الشُّرْفَةِ ، وَسَتُلْقي كُلُّ واحِدَةٍ مِنْكُنَّ مِنْديلَها ، الَّذي يَحْمِلُ الحُروفَ الأُولى مِنِ اسْمِها ، وَمَنْ يُحْضِرُ لَها المِنْديلَ سَيَكونُ زَوْجًا لَها ، مَهْما كانَتْ صِناعَتُهُ وَأَيا كانَ شَكْلُهُ . »

وَفي صَباحِ اليَوْمِ التّالي وَقَفَتِ الأَميراتُ في شُرْفَةِ القَصْرِ وَأَلْقَيْنَ مَناديلَهُنَّ .

وَبَعْدَ ساعاتٍ قَليلَةٍ ، جاءَ أَميرٌ شابٌّ يَحْمِلُ مِنْديلَ كُبْرى الأَميراتِ ، وَ وافَقَ المَلِكُ عَلى زَواجِهِ مِنْها . وَ جاءَ - بَعْدَ ذَلِكَ - فارِسٌ وَسيمٌ يَحْمِلُ مِنْديلَ الأَميرَةِ الوُسْطى ، وَ وافَقَ المَلِكُ - أَيْضًا - عَلى الزَّواجِ . وَ مَرَّتِ الأَيّامُ وَ الشُّهورُ وَلَمْ يُحْضِرْ أَحَدٌ مِنْديلَ الأَميرَةِ الصُّغْرى .

وَذاتَ يَوْمٍ ، بَيْنَما كانَ المَلِكُ جالِسًا مَعَ بَناتِهِ في حَديقَةِ القَصْرِ - وَقَفَ غُرابٌ عَلى كُرْسِيِّ المَلِكِ ، حامِلاً في مِنْقارِهِ مِنْديلَ الأَميرَةِ الصُّغْرى ؛ فَدُهِشَ المَلِكُ ، وَزادَتْ دَهْشَتُهُ حينَ سَمِعَ الغُرابَ يَتَكَلَّمُ ، وَيَطْلُبُ يَدَ الأَميرَةِ .

تَرَدَّدَ المَلِكُ في الجَوابِ ، وَلَمْ يَتَمالَكْ نَفْسَهُ مِنَ



الدَّهْشَةِ ، وَظَلَّ حائِرًا لا يَعْرِفُ ماذا يَقولُ أو بِماذا يُجيبُ .

لَكِنَّ الأميرَةَ الصَّغيرَةَ أَنْقَذَتْ والِدَها مِنْ حَيْرَتِهِ حينَ قالَتْ : « إِنَّني أوافِقُ ، يا مَولايَ ، عَلى الزَّواجِ مِنْ هَذا الغُرابِ . فَأَنْتَ دائِماً رَجُلٌ صادِقُ الوَعْدِ ، لا تَنْقُضُ وَعْداً ، وَلا تَنْكُثُ عَهْداً ، وَسَتَظَلُّ كَذَلِكَ أَبَدَ الدَّهْرِ . »

اُضْطُرَّ المَلِكُ لِلْمُوافَقَةِ عَلى هَذا الزَّواجِ العَجيبِ ، وَنَفْسُهُ تَفيضُ أَسًى وَلَوْعَةً ، وَقَلْبُهُ يَتَمَزَّقُ حَسرَةً وَحَيْرَةً ؛ فَهُوَ لا يَعْرِفُ ماذا يَفْعَلُ ، وَلا يَدْري أَيُّ مَصيرٍ يَنْتَظِرُ الأَميرَةَ ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَكُنْ يَمْلِكُ غَيْرَ تَحْديدِ مَوْعِدٍ لِزِفافِ الأَميراتِ ، وَالإِعْلانِ عَنْهُ في أَرْجاءِ البِلادِ .

دُقَّتِ الطُّبولُ ، وَعُلِّقَتِ الزّينات ، وَأُقيمَتِ الوَلائِمُ في أَنْحاءِ البِلادِ ، حَتّى جاءَ اليَوْمُ المَشْهودُ . وَأَقامَ المَلِكُ احْتِفالا اسْتَمَرَّ سَبْعَ لَيالٍ ، لَمْ تَرَ البِلادُ مِثْلَهُ مِنْ قَبْلُ .

وَذَهَبَتْ كُلُّ أَميرَةٍ إِلى مَنْزِلِ زَوْجِها !

سارَتِ الأَميرَةُ الصَّغيرَةُ ، وَزَوْجُها الغُرابُ يُحَلِّقُ فَوْقَ رَأْسِها ، وَهِيَ لا تَدْري إِلى أَيِّ مَكانٍ يَقودُها ، حَتّى ابْتَعَدا

عَنِ العُمْرانِ . وَلَمَحَتْ مِنْ بَعيدٍ قَصْراً مَنيفًا جَميلاً ، عَلى رَبْوَةٍ عـالِيَـةٍ ، في مَكانٍ مـوحِشٍ ، خُيِّلَ إلَيْـهـا أنَّهُ مَهْجورٌ ، حَيْثُ لا تَرى مِنْهُ بَصيصَ نورٍ .

وَصَلا القَصْرَ ، فَأسْرَعَ الغُرابُ بِالدُّخولِ مِنَ النّافِذَةِ ، وَسُرْعانَ ما فَتَحَ لِلأميـرَةِ الأبْوابَ . وَفَغَرَتِ الأميـرَةُ مِنَ الدَّهْشَةِ فَمَهـا ، وَ وَقَفَتْ واجِمَةً ، فَقَدْ فَتَحَ لَهـا البابَ شابٌّ وَسيمٌ ، رائِعُ الخِلْقَةِ ، بَهِيُّ الطَّلْعَةِ ، وَراحَ يَدْعوها لِلدُّخولِ . فَسَألَتْهُ عَنْ زَوْجِها الغُرابِ ، فَقالَ لَها :

« هُوَ أنا . أنا الغُرابُ ! أنا أميرٌ مَسْحورٌ ، أعودُ في اللَّيْلِ بَعيداً عَنِ العُيونِ إلى حَقيقَتي ، فَإذا صَبَرْتِ ، يا أميرَتي ، عَلى حالي - فَقَدْ أعودُ إلى ما كُنْتُ عَلَيْهِ ، وَيَنْفَكُّ السِّحْرُ عَنّي . أمّا إذا أطْلَعْتِ أحَداً عَلى سِرّي - فَسَيُصْبِحُ الأمْرُ صَعْبًا ، وَقَدْ أظَلُّ عَلى هَذِهِ الحالِ إلى أبَدِ الدَّهْرِ . »

اتَّسَعَتْ عَيْنا الأميـرَةِ لِفَرْطِ دَهْشَتِهـا مِمّـا رَأتْ وَما سَمِعَتْ .

وَعاشَتْ تَنْعَمُ في هَذا القَصْرِ بِحُبِّ الأميرِ المَسْحورِ لَها ،

وَحَدَبِهِ عَلَيْهـا ، حَتّى هاجَهـا الشَّوْقُ لِرُؤْيَةِ والِدِها المَلِكِ وَأخَواتِها الأميراتِ - فَاسْتَأذَنَتْ زَوْجَها لِزِيارَتِهِمْ ، وَالعَوْدَةِ بَعْدَ أسْبوعٍ .

أجابَ الأميرُ الغُرابُ زَوْجَتَهُ إلى رَغْبَتِهـا ، وَلَبّى لَهـا طِلْبَتَها ؛ فَقَدْ كانَ يُحِبُّها ، وَ يُدْرِكُ أنَّها تُعاني مِنَ الوَحْدَةِ وَالدَّهْشَةِ في هَذا القَصْرِ المَعْزولِ عَنِ العالَمِ .

عـادَتِ الأميـرَةُ إلى قَصْرِ والِدِها ، وَالْتَقَتْ أخْتَيْهـا ، وَسَعِدَتْ بِاجْتِمـاعِها مَعَ أسْرَتِها ، وَلَكِنَّ أخْتَيْهـا كانَتا تَغْمِزانِها في الكَلامِ ، وَتُعَرِّضانِ بِزَوْجِها الغُرابِ ، وَتَسْألانِ - في سُخْرِيَةٍ - عَنْ حالِها وَحالِ زَوْجِها .

لَمْ تَتَحَمَّلِ الأميرَةُ سُخْرِيَتَهُما ، فَقالَتْ لَهُما : « إنَّ زَوْجي أميرٌ وَسيمٌ ، جَميلُ الشَّكْلِ ، حُلْوُ المَعْشَرِ . وَلَقَدْ سَحَرَتْهُ السّاحِرَةُ الشِّرّيرَةُ وَحَوَّلَتْهُ إلى غُرابٍ ، وَلَكِنَّهُ يَعودُ إلى حَقيقَتِهِ وَصورَتِهِ الطَّبيعِيَّةِ حينَما يَحِلُّ المَساءُ ، كَما أنَّني أسْكُنُ في قَـصْـرٍ جَـمـيلٍ ، لا يَقِلُّ رَوْعَـةً وَبَهـاءً عَنْ قُصورِكُما ، فَلا تَسْخَرا مِنّي ، وَلا تَتَهَكَّما عَلَيَّ . »

وَحينَما عادَتِ الأميرَةُ إلى قَصْرِها ، لَمْ تَجِدِ الأميرَ في انْتِظارِها ، وَلَمْ تَقَعْ عَينُها عَلَيْهِ ، فَانْتَظَرَتْ حَتّى سادَ الظَّلامُ ، وَلكِنَّ الأميرَ لَمْ يَظْهَرْ ؛ فَاشْتَدَّ قَلَقُها عَلَيْهِ ، وَخفقَ قَلْبُها حِيالَهُ ، وَخَشِيَتْ أنْ يَكونَ قَدْ ألَمَّ بِهِ مَكْروهٌ. وَ هُناكَ عِنْدَ مُنْتَصَفِ اللَّيْلِ ظَهَرَ الأميرُ المَسْحورُ – لَمْ يَظْهَرْ بَشَراً سَوِيا كَما تَعَوَّدَتْ ، وَ لكِنَّهُ كانَ لا يَزالُ غُراباً ، وَيَبْدو حزيناً .

سَألَتْهُ عَمّا بِهِ فأجابَها قائلا : « سَأظَلُّ دائِماً على هَذِهِ الصّورَةِ ؛ لأنَّكَ أطْلَعْتِ أخْتَيْكِ عَلى سِرّي .»

« ماذا أفْعَل ؟ وَكَيْفَ أصْلِحُ ما قُمْتُ بِهِ ؟ فَأنا لَنْ أغْفِرَ لِنَفْسي ذَلِكَ أبَداً .»

« لا أحَدَ يَسْتَطيعُ ذَلِكَ . إنَّ الأمْرَ كُلَّهُ بِيَدِ تِلْكَ السّاحِرَةِ ، وَلِكَيْ تُخَلِّصيني مِنْ هَذا القَيْدِ يَجِبُ أنْ تَمْتَثِلي لأوامِرِها ، وَذَلِكَ يَتَطَلَّبُ القِيامَ بِأمورٍ صَعْبَةٍ ، قَدْ لا تَقْدِرينَ عَلَيْها ، مُقابِلَ أنْ تَفُكَّ هَذا السِّحْرَ .»

« سَأفْعَلُ أيَّ شَيْءٍ مِنْ أجْلِ ذَلِكَ . أخْبِرْني بِمَكانِها .

أرْجوكَ .»

« خُذي هَذِهِ الزُّجاجَةَ ، وَهَذا الحِذاءَ ، وابْدَئي رِحْلَتَكِ في الصَّباحِ ، وَلَنْ تَصِلي إلى مَكانِ السّاحِرَةِ قَبْلَ أنْ يَتَمَزَّقَ حِذاؤُكِ ، وَتَمْلَئي هَذِهِ الزُّجاجَةَ بِدُموعِكِ . وَلْتَعْلَمي أنَّ المُهِمَّةَ عَسيرَةٌ شاقَّةٌ ، وَأنَّ هُناكَ الكَثيرَ مِنَ الصِّعابِ عَلَيْكِ التَّغَلُّبُ عَلَيْها .. وَلَكِنّي سأكونُ دائِماً بِجانِبِكِ وَرَهْنَ إشارَتِكِ . عَلَيْكِ فَقَطْ أنْ تُنادي عَلَيَّ ، وَسَألَبّي دائِماً نِداءَكِ .»

بَدَأتِ الأميرَةُ رِحْلَتَها مُنْذُ الصَّباحِ الباكِرِ ، تَسيرُ حَتّى يُرْهِقَها التَّعَبُ ، وَيَمَسَّها اللُّغوبُ ، فَتَجْلِسُ لِتَسْتَريحَ ، وَتَملأ الزُّجاجَةَ بِدُموعِ النَّدَمِ وَ الفِراقِ .

مَرَّتِ الأيّامُ وَالأسابيعُ وَالشُّهورُ ، وَالأميرَةُ تَسيرُ مِنْ مَكانٍ إلى مَكانٍ ، حَتّى تَمَزَّقَ حِذاؤُها ، وَامْتَلأتِ الزُّجاجَةُ بِدُموعِها . وَكانَ ذَلِكَ أمارَةَ وُصولِها قَصْرَ السّاحِرَةِ ، فَطَرَقَتِ البابَ ، وَ قَرَأتْ عَلَيْها السَّلامَ ، وَطَلَبَتْ مِنْها أنْ تُلْحِقَها بِالعَمَلِ لَدَيْها . وافَقَتِ السّاحِرَةُ عَلى ذَلِكَ ،

وَكَشَفَتْ لَها عَنْ مَشَقَّةِ العَمَلِ ، وَأَوْضَحَتْ لَها أَنْ عَلَيْها أَنْ تُنْجِزَ كُلَّ ما يُطْلَبُ مِنْها ، في الوَقْتِ الَّذي تُحَدِّدُهُ لَها.

وَكانَ أَوَّلَ عَمَلٍ كَلَّفَتْها إِنْجازَهُ – هُوَ أَنْ تَقومَ بِفَرْزِ مَحْصولِ سَبْعَةِ فَدادينَ مِنَ الحُبوبِ المُخْتَلِطَةِ ، فَتَضَعَ الفولَ في مَكانٍ ، وَ العَدَسَ في مَكانٍ ، وَ الأَرْزَ في مَكانٍ آخَرَ ، وَ ذَلِكَ كُلُّهُ يَجِبُ أَنْ يَتِمَّ قَبْلَ طُلوعِ الشَّمْسِ .

اِنْتابَ الأَميرَةَ شُعورٌ بِاليَأْسِ وَ الإِحْباطِ ؛ فَهِيَ مُرْهَقَةٌ أَشَدَّ ما يَكونُ الإِرْهاقُ ، تَكادُ تَسْقُطُ مِنْ شِدَّةِ الإِعْياءِ وَ التَّعَبِ . كَيْفَ يُمْكِنُها أَنْ تُنْجِزَ هَذِهِ المُهِمَّةَ الصَّعْبَةَ ؟

وَبَيْنَما هِيَ حَزينَةٌ تَذَكَّرَتْ كَلِماتِ زَوْجِها الغُرابِ ، وَشَعَرَتْ بِالحَنينِ إِلَيْهِ ، فَنادَتْهُ ، وَظَلَّتْ تُنادي حَتّى رَأَتِ السَّماءَ قَدِ اكْفَهَرَّتْ ، وَخَيَّمَ عَلَيْها الظَّلامُ ، فَرَفَعَتْ رَأْسَها فَإِذا هِيَ قَدِ امْتَلأَتْ بِالغِرْبانِ ، الَّتي جاءَتْ لِتُعينَها في عَمَلِها ، وَلِتُخَفِّفَ عَنْها مَتاعِبَها . وَقامَتِ الغِرْبانُ بِالعَمَلِ في هِمَّةٍ وَنَشاطٍ حَتّى تَمَّ فَرْزُ الحُبوبِ وَتَصْنيفُها قَبْلَ بُزوغِ الشَّمْسِ . ثُمَّ اخْتَفَتِ الغِرْبانُ جَميعًا ، وَلَمْ

تَسْتَطِعِ الأَميرَةُ أَنْ تَتَعَرَّفَ عَلى زَوْجِها وَسْطَ هَذا الجَمْعِ الحاشِدِ مِنَ الغِرْبانِ .

ذُهِلَتِ السّاحِرَةُ عِنْدَما رَأَتِ الأَميرَةَ قَدْ قامَتْ بِعَمَلِها عَلى أَحْسَنِ وَجْهٍ ، فَعَهِدَتْ إِلَيْها بِالمُهِمَّةِ الثّانِيَةِ ، وَهِيَ لا تَقِلُّ صُعوبَةً عَنْ سابِقَتِها : إِنَّ عَلَيْها أَنْ تَمْلأَ سَبْعينَ زيرًا بِالماءِ مِنَ البِئْرِ المُجاوِرَةِ ، وَ تَسْتَعْمِلَ في ذَلِكَ مِصْفاةً بِها ثُقوبٌ كَثيرَةٌ ، وَ يَجِبُ أَنْ يَتِمَّ ذَلِكَ قَبْلَ غُروبِ الشَّمْسِ .

صُدِمَتِ الأَميرَةُ صَدْمَةً قاسِيَةً ، وَأَصابَها اليَأْسُ ، وَاعْتَراها الحُزْنُ الشَّديدُ ، فَأَخَذَتْ تُنادي عَلى زَوْجِها ، وَتَسْتَغيثُ بِهِ ، حَتّى أَظْلَمَتِ السَّماءُ ، وَامْتَلأَتْ بِالغِرْبانِ ، يَحْمِلُ كُلُّ واحِدٍ مِنْها آنِيَةً ، يَمْلَؤُها في سُرْعَةٍ بالِغَةٍ مِنَ البِئْرِ لِيَصُبَّها في الزّيرِ . وَراحَ الكُلُّ يَعْمَلُ في هِمَّةٍ وَنَشاطٍ ؛ حَتّى امْتَلأَ السَّبْعونَ زيرًا بِالماءِ قَبْلَ غُروبِ الشَّمْسِ ، ثُمَّ اخْتَفَتِ الغِرْبانُ مِنْ حَيْثُ جاءَتْ . وَلَمْ تَتَمَكَّنْ – أَيْضًا – في هَذِهِ المَرَّةِ مِنَ التَّعَرُّفِ عَلى زَوْجِها .

وَ قَرَّرَتِ السّاحِرَةُ – في هَذِهِ المَرَّةِ الثّالِثَةِ وَ الأَخيرَةِ – أَنْ

تَعْهَدَ إلَيْها بِعَمَلٍ يَصْعُبُ إنْجازُهُ بِأيِّ حالٍ مِنَ الأحْوالِ ، وَلا يَقْدِرُ على القِيامِ بِهِ أحَدٌ : إنَّ عَلَيْها أنْ تَبْحَثَ عَنْ إبْرَةٍ ذَهَبِيَّةٍ ، في كومَةِ قَشٍّ ، في ثَلاثِ ساعاتٍ .

أدْرَكَتِ الأميرَةُ أنَّ السّاحِرَةَ تُريدُ أنْ تُعجِزَها ، وَتَقْهَرَ إرادَتَها – فَهِيَ تَطْلُبُ مِنْها المُسْتَحيلَ . وَشَعَرَتْ بِالحُزْنِ الشَّديدِ يُثْقِلُها ، وَبِاليَأسِ القاتِلِ يَمْلأُ قَلْبَها ، فَصاحَتْ تُنادي عَلى زَوْجِها ، حَتّى أظْلَمَتِ السَّماءُ وَامْتَلأتْ بِالغِرْبانِ ، الَّتي بَدَأتِ البَحْثَ في كومَةِ القَشِّ عَنِ الإبْرَةِ الذَّهَبِيَّةِ . أخَذَ كُلُّ واحِدٍ يَرْفَعُ قَشَّةً واحِدَةً ، حَتّى عَثَرَ أحَدُهُمْ عَلى الإبْرَةِ الذَّهَبِيَّةِ قَبْلَ السّاعاتِ الثَّلاثِ .

أدْرَكَتِ السّاحِرَةُ أنَّها أمامَ خَصْمٍ قَوِيٍّ عَنيدٍ ، فَقالَتْ لِلأميرَةِ : « اُطْلُبي ما تُريدينَ ، وَسَتَنالينَهُ في الحالِ .»

فَقالَتِ الأميرَةُ : « لا أُريدُ شَيْئًا سِوى أنْ يَنْفَكَّ السِّحْرُ عَنْ زَوْجي الأميرِ ، وَيَعودَ كَما كانَ في صورَتِهِ الآدَمِيَّةِ .»

« عودي الآنَ إلَيْهِ ، وَسَيَكونُ لَكِ ما تُريدينَ .»

شَكَرَتِ الأميرَةُ السّاحِرَةَ ، وَبَدَأتْ طَريقَ العَوْدَةِ ، لا

تَدْري كَمْ مِنَ الوَقْتِ مَضى ، وَلا كَمْ مِنَ المَسافاتِ سارَتْ . وَرَغْمَ ما كانَتْ تَشْعُرُ بِهِ مِنْ تَعَبٍ ، إلا أنَّها كانَتْ تُحِسُّ بِسَعادَةِ الدُّنْيا تَغْمُرُ جَوانِبَها ، وَتُضيءُ لَها الطَّريقَ .

وَ عِنْدَما لاحَ لَها القَصْرُ المَهْجورُ مِنْ بَعيدٍ – رَأتِ الأنْوارَ مُضاءَةً وَالزّيناتِ مُعَلَّقَةً . فَلَمّا اقْتَرَبَتْ مِنْهُ سَمِعَتِ الأبْوابَ تَضْحَكُ ، وَالنَّوافِذَ تُزَغْرِدُ ، وَرَأتِ الحَوائِطَ تَبْتَسِمُ ، أوْ هَكَذا خُيِّلَ إلَيْها . وَعِنْدَ بابِ القَصْرِ كانَ الأميرُ في أبْهى زينَتِهِ ، وَأحْسَنِ حالَتِهِ ، لَكِنَّ التَّعَبَ كانَ قَدْ بَلَغَ مِنْها غايَتَهُ ؛ فَكادَتْ تَسْقُطُ مِنْ شِدَّةِ الإعْياءِ !

حَمَلَها الأميرُ بَيْنَ ذِراعَيْهِ ، وَأرْقَدَها في غُرْفَتِها ، وَجَلَسَ بِجانِبِها يَحوطُها بِرِعايَتِهِ ، وَيَكْلَؤُها بِعِنايَتِهِ ، وَيُسَرّي عَنْها ما ألَمَّ بِها مِنَ التَّعَبِ ، وَأصابَها مِنَ النَّصَبِ ، وَإذا هِيَ تَفْتَحُ عَيْنَيْها ، فَتَرى وَجْهَهُ المُشْرِقَ بِالفَرْحَةِ الغامِرَةِ ؛ فَتَنْداحُ المَسَرَّةُ في قَلْبِها ، وَتَمْتَلِئُ بِالهَناءَةِ نَفْسُها . وَيَعيشُ الزَّوْجانِ في بَهْجَةٍ وَحُبورٍ .

الجُمْجُمَةُ

يُحْكى أنَّهُ كانَ في قَديمِ الزَّمانِ مَلِكٌ عادِلٌ كَريمٌ ، يُحِبُّ شَعْبَهُ ، وَيُحِبُّهُ شَعْبُهُ ، يَبْذُلُ كُلَّ ما في وُسْعِهِ لِيُوَفِّرَ لِبِلادِهِ الرَّخاءَ وَالرَّفاهِيَةَ ؛ لِتَعيشَ الرَّعِيَّةُ عيشَةً هَنِيَّةً مَرْضِيَّةً، يُعاوِنُهُ في ذَلِكَ وَزيرٌ مُخْلِصٌ ، عاقِلٌ حَكيمٌ ، اسْمُهُ « عرفان » ، يَعْرِفُ الجَميعُ لَهُ قَدْرَهُ ، وَيَسْتَمِعونَ إلى نُصْحِهِ ، وَيَعْمَلونَ بِمَشورَتِهِ . لَكِنَّ حاشِيَةَ المَلِكِ كانَتْ تَضيقُ بِهِ ، وَتَنْفِرُ مِنْهُ ، وَتُحاوِلُ أنْ تُشَوِّهَ كُلَّ أقوالِهِ ، وَتُحْبِطَ كُلَّ أعْمالِهِ ؛ فَقَدْ كانَتْ حاشِيَةً فاسِدَةً ، تَتَألَّفُ مِنْ أرْبَعينَ رَجُلاً ، هُمْ مَجْموعَةٌ مِنَ اللُّصوصِ الَّذينَ يَسْعَوْنَ في الأرْضِ فَساداً ، وَيَنْتَهِزونَ فُرْصَةَ تَقَرُّبِهِمْ مِنَ المَلِكِ ، فَيَكيدونَ « لِعرفان » ، الرَّجُلِ النَّزيهِ ؛ وَيُدَبِّرونَ لَهُ المُؤامَرَةَ بَعْدَ الأخْرى ؛ لِكَيْ يَغْضَبَ عَلَيْهِ المَلِكُ وَيَنْبِذَهُ .

وَفي لَيْلَةٍ مِنَ اللَّيالي كانَ الوَزيرُ « عرفان » يَمْشي شارِداً

بَطيئًا ، أثْقَلَ الحُزْنُ خُطُواتِهِ ، وَقَيَّدَ الهَمُّ حَرَكاتِهِ ؛ فَقَدْ وَبَّخَهُ المَلِكُ تَوْبيخًا مُؤْلِمًا ، وأنَّبَهُ تأنيبًا موجِعًا ؛ إثْرَ وِشايَةٍ وَشَتْ بِها الحاشِيَةُ . وَفَجْأةً أفاقَ مِنْ شُرودِهِ ، حينَما تَعَثَّرَتْ قَدَمُهُ في شَيْءٍ صُلْبٍ ، فَمالَ لِيَلْتَقِطَهُ في الظَّلامِ ، وَكَمْ كانَتْ دَهْشَتُهُ عِنْدَما وَجَدَهُ جُمْجُمَةً ، عَلَيْها نَقْشٌ لَمْ يَسْتَطِعْ قِراءَتَهُ في الظَّلامِ ، فَأخَذَها مَعَهُ إلى مَنْزِلِهِ .



وَ في المَنْزِلِ تَمكَّنَ الوَزيرُ « عـرفـان » مِنْ قِـراءَةِ النَّقْشِ عَلى الجُمْجُمَةِ ، فَإِذا هُوَ : « لَقَدْ قَتَلْتُ أَرْبَعين رَجُلاً قَبْلَ مَـماتي دِفاعًا عَنْ بِلادي ، وَ سَأَقْتُلُ أَرْبَعينَ رَجُلاً بَعْدَ مَماتي دِفاعًا عَنِ الحَقِّ .»

اِنْزَعَجَ الوَزيرُ « عـرفـان » مِنْ هَذِهِ العِبـارَةِ ، وَقَـرَّرَ أَنْ يَتخَلَّصَ بِسُرْعَةٍ مِنْ هَذِهِ الجُمْجُمَةِ ، فَطَلَبَ مِنْ زَوْجَتِهِ أَنْ تَطْحَنَها جَيِّدًا ، ثُمَّ تَأْتِيَهُ بِطَحينِها .

أَخَذَتِ الزَّوْجَةُ الجُمْجُمَةَ ، وَبَعْدَ أَنْ طَحَنَتْها أَرادَتْ أَنْ تَتَأَكَّدَ مِنْ صَنيعِها ، فَوَضَعَتْ ذَرَّةً مِنَ الطَّحينِ عَلى طَرَفِ إِصْبَعِها وَ لَعِقَتْهُ ؛ لِتَسْتَوْثِقَ مِنْ نُعومَتِهِ . فَلَمّا تَبَيَّنَ لَها أَنَّها أَتْقَنَتْ صَنْعَها – ذَهَبَتْ بِهِ إِلى زَوْجِها الَّذي أَخَذَهُ بِدَوْرِه ، وَخَرَجَ بِهِ إِلى حَديقَةِ المَنْزِلِ ، وَ نَثَرَهُ في أَرْجائِها .

كـانَتْ زَوْجَةُ الوَزيرِ « عرفـان » حامِلاً ، وَتوشِكُ أَنْ تَضَعَ مَوْلودًا ، وَلَمْ تَمْضِ أَيّامٌ قَليلَةٌ عَلى هَذِهِ الواقِعَةِ حَتّى وَضَعَتْ صَبِيًّا جَميلاً كَالْبَدْرِ ، يَشِعُّ مِنْ عَيْنَيْهِ ذَكاءٌ ، وَمِنْ جَبْهَتِهِ نورٌ . كانَ هَذا المَوْلودُ مَصْدَرَ سَعادَةٍ وَبَهْجَةٍ ،

أَنْسَتِ الوَزيرَ « عرفان » ما يَتَعَرَّضُ لَهُ مِنْ مُضايَقاتٍ ، وَما تُدَبِّرُهُ لَهُ حاشِيَةُ المَلِكِ مِنْ مُؤامَراتٍ .

أَطْلَقَ عَلَيْهِ أَبوهُ اسْمَ « منصور » ، وَكَأَنَّما كانَ يَسْتَشِفُّ الغَيْبَ ؛ فَقَدْ كانَ لَهُ مِنِ اسْمِهِ أَوْفى نَصيبٍ .

نَما « منصور » ، وَاشْتَدَّ عودُهُ ، وَكانَ ذَكِيًّا وَدودًا يُحِبُّ النّاسَ ، وَيُحِبُّهُ النّاسُ وَيُؤْثِرونَهُ بِالبِرِّ وَالخَيْرِ ، وَيَتَعاطَفونَ مَعَهُ ، وَيَسْتَجيبونَ لَهُ .

كـانَ الوَزيرُ « عرفان » يَصْطَحِبُ ابْنَهُ « منصـور » مَعَهُ أَحْيانًا إِلى قَصْرِ المَلِكِ . واسْتَطاعَ الغُلامُ بِفِطْرَتِهِ الصّافِيَةِ ، وَذَكائِهِ الوَقّادِ ، أَنْ يَشْعُرَ بِفَسادِ الحاشِيَةِ ، فَلَمْ يَكُنْ يَرْتاحُ لَها مِثْلَ أَبيهِ .

وَفي يَوْمٍ دَخَلَ الوَزيرُ « عـرفـان » عَلى المَلِكِ ، فَأَلْفـاهُ حَـزينًا بائِسًـا ، تَبْـدو عَلى وَجْـهِـهِ آياتُ الكَآبَةِ ، وَمَـرارَةُ القُنوطِ . بادَرَ الوَزيرُ « عرفان » المَلِكَ بِالتَّحِيَّةِ ، ثُمَّ قالَ : « مـاذا بِكَ ، يا مَوْلايَ ؟ لِمـاذا تَبْـدو حَزينًا كُلَّ هَذا الحُزْنِ ؟»

« لَقَدْ رَأيْتُ منامًا أزْعَجَني ، وَجَعَلَ النَّوْمَ يَطيرُ مِنْ جُفوني .»

« اللّهُمَّ اجْعَلْهُ خيْرًا ! ماذا رَأيْتَ ؟»

« رَأيْتُ أرْبَعينَ غُرابًا يَهْبِطونَ عَلى قَصْري ، وَيَلْتَهِمونَ كُلَّ ما بِهِ ، وَلا يَتْرُكونَ لي شَيْئًا ، ثُمَّ راحوا يَنْهَشونَ بَعْدَ ذَلِكَ في لَحْمي ، وَأنا أصيحُ وَأصْرُخُ دونَ أنْ يَهُبَّ أحَدٌ لِنَجْدَتي .»

تَكَرَّرَ هَذا الحُلْمُ كَثيرًا ، وَاسْتَوْلى عَلى تَفْكيرِ المَلِكِ ، وَاشْتَدَّ انْزِعاجُ المَلِكِ بِهِ ، وَخَوْفُهُ مِنْهُ - فَطَلَبَ مِنَ الوَزيرِ أنْ يُحْضِرَ لَهُ جَميعَ القادِرينَ عَلى تَفْسيرِ الأحْلامِ .

جَمَعَ الوَزيرُ المُنَجِّمينَ مِنْ جَميعِ أنْحاءِ البِلادِ ، وَلَكِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ أحَدٌ مِنْهُمْ أنْ يُفَسِّرَ رُؤْيا المَلِكِ ، وَ وَقَفوا أمامَ هَذا الحُلْمِ العَجيبِ عاجِزينَ !

اِشْتَدَّ ضيقُ المَلِكِ ، وَأصْبَحَ شَديدَ التَّوَتُّرِ ، سَريعَ الغَضَبِ ، يَثورُ لأتْفَهِ الأسْبابِ ، وَيُوَبِّخُ الوَزيرَ « عرفان » عَلى كُلِّ صَغيرَةٍ وَكَبيرَةٍ ، وَالوَزيرُ يُقَدِّرُ ما يُعانيهِ المَلِكُ ،

وَيَغْفِرُ لَهُ ، وَ يَصْفَحُ في نَفْسِهِ عَنْهُ ، وَلا يُضْمِرُ لَهُ حِقْدًا وَلا عَداوَةً ، بَلْ يُشْفِقُ عَلَيْهِ ، وَيَتَعاطَفُ مَعَهُ ، وَيَوَدُّ صادِقًا لَوِ اسْتَطاعَ تَخْليصَهُ مِمّا هُوَ فيهِ .

وَذاتَ يَوْمٍ عادَ الوَزيرُ « عرفان » إلى مَنْزِلِهِ مَهْمومًا مَكْدودًا ؛ فَسَألَهُ « منصور » : « ماذا بِكَ ، يا والِدي ؟»

قَصَّ الوَزيرُ « عرفان » عَلى ابْنِهِ « منصور » حُلْمَ المَلِكِ ، فَابْتَسَمَ الغُلامُ وَ قالَ لأبيهِ : « إنَّني أسْتَطيعُ تَفْسيرَ هَذا الحُلْمِ . سَأذْهَبُ غَدًا صَباحًا مَعَكَ إلى المَلِكِ . لا تَقْلَقْ ، يا والِدي .»

« كَيْفَ تَسْتَطيعُ - يا بُنَيَّ - تَفْسيرَهُ ، وَقَدْ فَشِلَ في ذَلِكَ جَميعُ المُنَجِّمينَ ، وَ وَقَفوا أمامَهُ عاجِزينَ مَبْهوتينَ ؟»

« قُلْتُ لَكَ لا تَقْلَقْ ، يا والِدي ، وَنَمْ هادِئًا ، فَسَيَجْعَلُ اللهُ لَكَ مِمّا أنْتَ فيهِ مَخْرَجًا .»

تَعَجَّبَ الوَزيرُ مِنْ كَلامِ ابْنِهِ ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَسْتَطِعْ - في الصَّباحِ - أنْ يَخْطُوَ إلى قَصْرِ المَلِكِ دونَ أنْ يَصْحَبَهُ مَعَهُ .

فَلَمّا دَخَلا عَلى المَلِكِ وَجَداهُ ضائِقًا كَعادَتِهِ ، مُكْفَهِرَّ الوَجْهِ ، بائِسًا ، فَبادَرَهُ الوَزيرُ « عرفان » بِالتَّحِيَّةِ ثُمَّ قالَ لَهُ : « هُناكَ ، يا مَوْلايَ ، مَنْ يَسْتَطيعُ تَفْسيرَ حُلْمِكَ .»

« إليَّ بِهِ .. ماذا تَنْتَظِرُ ؟»

« إنَّهُ وَلَدي « منصور » .»

« « منصور » ؟ أَهَذا صَحيحٌ ، يا بُنَيَّ ؟»

« نَعَمْ ، يا مَوْلايَ ، وَلَكِنْ أُريدُ أَنْ أَتَأَكَّدَ أَوَّلًا مِنْ أَنَّ أَحَدًا لا يَسْمَعُ حَديثَنا .»

وَعِنْدَما تَأَكَّدَ « منصور » مِنْ ذَلِكَ ، بَدَأَ الكَلامَ : « سَأُفَسِّرُ لَكَ الحُلْمَ ، يا مَوْلايَ ، بِعَوْنِ اللهِ . وَلَكِنْ حَتّى أَسْتَطيعَ ذَلِكَ يَجِبُ أَنْ تُنَفِّذَ ما أَطْلُبُهُ مِنْكَ : سَتُقيمُ حَفْلًا راقِصًا ، تَدْعو إِلَيْهِ جَميعَ الحاشِيَةِ ، وَسَيَكونُ الحَفْلُ في قاعَةِ الاسْتِقْبالِ المَلَكِيَّةِ . وَأَنْتَ تَعْلَمُ ، يا مَوْلايَ ، أَنَّ المَمَرَّ السِّرِّيَّ الَّذي تَحْتَفِظُ فيهِ بِخَزائِنِكَ الحَديدِيَّةِ – يُؤَدّي إِلى القاعَةِ ؛ لِذَلِكَ سَتُغْلَقُ يَوْمَ الحَفْلِ جَميعُ الأَبْوابِ ، ما عَدا

بابَ المَمَرِّ الَّذي توجَدُ بِهِ الخَزائِنُ ، وَسَتُتْرَكُ الخَزائِنُ مَفْتوحَةً بِغَيْرِ حِراسَةٍ ، وَسَيَكونُ هَذا هُوَ الطَّريقَ الوَحيدَ إِلى قاعَةِ الاسْتِقْبالِ حَيْثُ يُقامُ الحَفْلُ .»

« أَجُنِنْتَ ، يا فَتى ؟ هَلْ فَقَدْتَ عَقْلَكَ ؟»

قالَها المَلِكُ بِانْفِعالٍ ظاهِرٍ ، وَتَوَتُّرٍ شَديدٍ .

قالَ « منصور » : « لا تَنْفَعِلْ ، يا مَوْلايَ ، وَنَفِّذْ ما أَقولُهُ ، إِذا كُنْتَ تُريدُ تَفْسيرَ الحُلْمِ .»

« لا أَفْهَمُ ما عَلاقَةُ ذَلِكَ كُلِّهِ بِالحُلْمِ ، وَلَكِنَّني – مَعَ ذَلِكَ – مُوافِقٌ . وَلَكِنِ اعْلَمْ جَيِّدًا أَنَّكَ إِذا لَمْ تُفَسِّرِ الحُلْمَ فَسَأُعاقِبُكَ عِقابًا شَديدًا .»

خَرَجَ الوَزيرُ « عرفان » مِنْ مَجْلِسِ المَلِكِ مَذْهولاً . وَلَمّا ابْتَعَدَ « بِمنصور » عَنِ القَصْرِ سَأَلَهُ : « ما هَذا الَّذي قُلْتَهُ لِلْمَلِكِ ؟ وَماذا تُريدُ أَنْ تَفْعَلَ ؟»

رَفَضَ « منصور » الإِجابَةَ عَنْ أَسْئِلَةِ والِدِهِ ، وَطَلَبَ مِنْهُ أَنْ يُهَدِّئَ نَفْسَهُ ، وَ يُريحَ خاطِرَهُ ، وَيَتَخَلّى عَنْ قَلَقِهِ .

تَملَّكَتِ الدَّهْشَةُ الجَميعَ عِنْدَما أعْلَنَ المَلِكُ أنَّهُ سَيُقيمُ حَفْلاً راقِصاً ؛ فَقَدْ كانَ مُنْذُ لَحظاتٍ ثائِراً غاضِباً ، فَكَيْفَ يَسْكُتُ عَنْ غَضَبِهِ بِهَذِهِ السُّرْعَةِ ، وَ يَدْعو إلى حَفْلٍ راقِصٍ كَبيرٍ ؟ وَكانَ المَلِكُ يُجيبُ كُلَّ مَنْ يَسْأَلُهُ أنَّهُ يُريدُ أنْ يُسَرِّيَ عَنْ نَفْسِهِ ما اعْتَوَرَها مِنْ حُزْنٍ ، وَ يُبَدِّدَ ما يَشْعُرُ بِهِ مِنْ ضيقٍ ، وَرُبَّما اسْتَطاعَ هَذا الحَفْلُ الجامِعُ أنْ يُخَفِّفَ عَنْهُ حِمْلَهُ الثَّقيلَ !

وَجاءَ اليَوْمُ المَشْهودُ ، يَوْمُ الحَفْلِ ، وَأُقيمَتِ الزّيناتُ ، وَأُعِدَّتِ المَوائِدُ . وَفوجِئَ الجَميعُ بِأنَّ جَميعَ الأبْوابِ المُؤَدِّيَةِ إلى قاعَةِ الاسْتِقْبالِ المَلَكِيَّةِ مُغْلَقَةٌ ، ما عَدا بابَ المَمَرِّ الَّذي كانوا يَجْهَلونَ وُجودَهُ ، وَالَّذي كانَ الضَّوْءُ فيهِ خافِتاً باهِتاً .

وَصَلَ الجَميعُ إلى قاعَةِ الاسْتِقْبالِ ، وَ قَدْ عَبَروا المَمَرَّ . وَأعْلَنَتْ بِدايَةُ الحَفْلِ ، وَبَدَأ جَميعُ المَدْعُوِّينَ يَرْقُصونَ ، وَمِنْ بَيْنِهِمْ أفْرادُ الحاشِيَةِ ، وَ كانوا يَتَحَرَّكونَ في رَقَصاتِهِمْ بِصُعوبَةٍ بالِغَةٍ . إنَّهُمْ يَتَحَرَّكونَ بِبُطْءٍ ، وَيَبْدو الواحِدُ مِنْهُمْ

مُنْتَفِخاً ، كَأنَّ وَزْنَهُ قَدْ زادَ عِدَّةَ كيلوغراماتٍ .

اِقْتَرَبَ « منصور » مِنَ المَلِكِ ، وَ هَمَسَ في أُذُنِهِ :

« أَلا تُلاحِظُ شَيْئاً ، يا مَوْلايَ ؟ »

« أُلاحِظُ أنَّ أفْرادَ حاشِيَتي مُنْتَفِخونَ ، يَتَحَرَّكونَ بِبُطْءٍ شَديدٍ ، وَبِصُعوبَةٍ فائِقَةٍ . »

« أرْجو أنْ تَأمُرَ بِغَلْقِ بابِ المَمَرِّ ، يا مَوْلايَ . »

أمَرَ المَلِكُ الحُرّاسَ بِغَلْقِ البابِ . وَهُنا اقْتَرَبَ « منصور » مِنَ العازِفينَ ، وَطَلَبَ وَقْفَ الموسيقى ، وَقالَ : « وَعَدْتُكَ ، يا مَوْلايَ ، أنْ أُفَسِّرَ لَكَ الحُلْمَ الَّذي يَشْغَلُكَ . ها هُمْ أولاءِ الأرْبَعونَ غُراباً ، الَّذينَ يَلْتَهِمونَ ما بِالقَصْرِ ، وَيَنْهَشونَ في لَحْمِكَ . ها هُمْ أولاءِ رِجالُ حاشِيَتِكَ الأرْبَعونَ لِصّاً . إذا أمَرْتَ حُرّاسَكَ بِتَفْتيشِهِمُ الآنَ – سَتَجِدُ ما في خَزائِنِكَ قَدِ انْتَقَلَ إلى جُيوبِهِمْ . »

دُهِشَ المَلِكُ لِكَلامِ « منصور » ، وَأمَرَ الحُرّاسَ بِتَفْتيشِ الحاشِيَةِ ، وَصَدَقَ ما قالَهُ « منصور » ؛ فَأمَرَ المَلِكُ بِقَتْلِهِمْ جَميعاً . وَاكْتَشَفَ بَعْدَ ذَلِكَ أنَّهُمْ كانوا يُدَبِّرونَ

مُؤامَرَةً لِقَتْلِه ، وَالاسْتيلاءِ على مُلْكِهِ . وَأَدْرَكَ أَنَّهُمْ كانوا يَحيكونَ الدَّسائِسَ لِلْوَزيرِ « عرفان » ؛ كَيْ يُبْعِدوهُ وَيَخْلُو لَهُمْ وَجْهُ المَلِكِ بِدونِهِ .

سُرَّ المَلِكُ بِصَنيعِ « منصور » ، وَعاوَدَتْهُ بَشاشَتُهُ الَّتي كانَتْ قَدْ فارَقَتْهُ زَمَنًا طَويلا ، وَعادَ إِلَيْهِ حِلْمُهُ وَ وَقارُهُ ، وَحَزْمُهُ وَعَزْمُهُ ، فَطَلَبَ إلى « منصور » أَنْ يَتَدَبَّرَ أَمْرَ الرِّجالِ ، الَّذينَ يُعاوِنونَ المَلِكَ ، وَيَتَدَبَّرونَ مَعَهُ أَعْباءَ الحُكْمِ ، وَتَرَكَ لَهُ – عَلى الرَّغْمِ مِنْ حَداثَةِ سِنِّهِ – مُهِمَّةَ اخْتِيارِهِمْ ، وَجَعَلَهُ عَلى رَأْسِ هَؤُلاءِ الرِّجالِ ؛ لِرَجاحَةِ عَقْلِهِ ، وَصَوابِ رَأْيِهِ ، بَلْ زادَ في تَكْريمِهِ وَتَعْظيمِهِ ، فَزَوَّجَهُ ابْنَتَهُ الأَميرَةَ ؛ لِيَضْمَنَ لِشَعْبِهِ حاكِمًا مُخْلِصًا ، وَراعِيًا حَكيمًا أَمينًا .

العَبْدُ مرجان

في قَديمِ الزَّمانِ ، كانَ هُناكَ مَلِكٌ عَظيمٌ ، يَحْكُمُ بِلادَهُ بِعَدْلٍ ، وَيَسوسُها بِحُبٍّ وَإِخْلاصٍ ، فَبادَلَتْهُ الرَّعِيَّةُ حُبًّا بِحُبٍّ ؛ وَإِخْلاصًا بِإِخْلاصٍ. وَكانَ يَقومُ عَلى خِدْمَةِ المَلِكِ عَبْدٌ اسْمُهُ « مرجان » ، شَديدُ الحُبِّ وَ الوَلاءِ لِسَيِّدِهِ ، لا يَعْرِفُ لِسانُهُ كَيْفَ يَنْطِقُ كَلِمَةَ « لا » .

سَعِدَ المَلِكُ بِحُبِّ مَنْ حَوْلَهُ ، وَلَكِنْ كانَ هُناكَ شَيْءٌ يُنَغِّصُ عَلَيْهِ هَذِهِ السَّعادَةَ في بَعْضِ الأَحْيانِ ، وَيَجْعَلُ سَحابَةً مِنَ الحُزْنِ تُخَيِّمُ عَلَيْها ؛ فَهُوَ لَمْ يَرْزُقْهُ اللهُ بِأَطْفالٍ ، وَلَكِنَّ شَيْئًا مِنَ الرِّضا بِأَمْرِ اللهِ يَرُدُّ المَلِكَ إِلى حَزْمِهِ وَعَزْمِهِ ، وَصَبْرِهِ وَأَمْنِهِ . وَظَلَّ في هُدوئِهِ المُطْمَئِنِّ ، وَرِضاهُ الصّابِرِ ، حَتّى جَزاهُ اللهُ عَنْ صَبْرِهِ خَيْرًا ، إِذْ أَعْلَنَ طَبيبُ القَصْرِ ذاتَ يَوْمٍ البُشْرى ؛ فَالمَلِكَةُ تَنْتَظِرُ حادِثًا سَعيدًا .

سَجَدَ المَلِكُ شاكِرًا للهِ نِعْمَتَهُ ، وَعَمَّتِ السَّعادَةُ أَنْحاءَ

البِلادِ ، وَأُقيمَتْ الاحْتِفالاتُ ، وَعُلِّقَتِ الزّيناتُ ، وَعاشَ النّاسُ في سَعادَةٍ وَهَناءَةٍ .

وَضَعَتِ المَلِكَةُ طِفْلَةً جَميلَةً كَالْبَدْرِ ، يَكادُ النّاظِرُ إلَيْها يَرى في وَجْهِها الشَّمْسَ وَالقَمَرَ مُجْتَمِعَيْنِ : فَوَجْهُها مُضيءٌ مُشْرِقٌ ، يَتَلأْلأُ نوراً ، وَيَفيضُ سِحْراً و بَهاءً .

كانَ المَلِكُ قَريرَ العَيْنِ بِطِفْلَتِهِ ، مُتَشَوِّقًا لِرُؤْيَتِها كَبيرَةً ناضِرَةً ، مُتَلَهِّفًا عَلى تَأمينِ مُسْتَقْبَلِها وَتَحْقيقِ سَعادَتِها ؛ فَجَمَعَ المُنَجِّمينَ ، وَطَلَبَ مِنْهُمْ قِراءَةَ طالِعِها ، وَمَعْرِفَةَ ما سَتَكونُ عَلَيْهِ حَياتُها القادِمَةُ .

اِجْتَمَعَ المُنَجِّمونَ وَتَشاوَروا في الأمْرِ ، وَظَهَرَ عَلى مَلامِحِهِمْ أماراتُ الدَّهْشَةِ وَالحُزْنِ ، وَلَمْ يَنْطِقوا حَرْفًا واحِداً ؛ فَسَأَلَهُمُ المَلِكُ : « ماذا في الأمْرِ ؟ ماذا يَحْدُثُ ؟»

طَلَبَ كَبيرُهُمْ تَأمينَ حَياتِهِ أوّلا حتّى يَنْطِقَ بِما رَأوْهُ وَعَرَفوهُ ، فَوَعَدَهُ المَلِكُ بِتَأمينِ حَياتِهِ وَحَياةِ الآخَرينَ .

بَدَأَ كَبيرُ المُنَجِّمينَ يَتَحَدَّثُ في خَوْفٍ شَديدٍ ، يَتَلَعْثَمُ في كَلِماتِهِ ، تَخْرُجُ الألْفاظُ مِنْ لِسانِهِ بَطيئَةً مَذْعورَةً :

« اِبْنَتُكَ ، يا مَوْلايَ ، سَتَكونُ أميرَةً رائِعَةَ الجَمالِ ، في قِمَّةِ الصِّحَّةِ وَالسَّعادَةِ ، يَتَوَدَّدُ إلَيْها أعْظَمُ الأمَراءِ وَالفُرْسانِ ، يَطْلُبونَ يَدَها ، وَيَتَطَلَّعونَ إلى رِضاها . وَلَكِنْ .. وَلَكِنْ ، يا مَوْلايَ .»

بادَرَهُ المَلِكُ قائِلا : « اِنْطِقْ ، يا رَجُلُ . ما بِكَ ؟»

اِسْتَأْنَفَ كَبيرُ المُنَجِّمينَ حَديثَهُ قائِلا : « وَ لَكِنَّ الأميرَةَ ، يا مَوْلايَ ، سَتَتَزَوَّجُ مِنْ .. مِنْ .. مِنَ العَبْدِ « مرجان » .»

اُمْتُقِعَ وَجْهُ المَلِكِ ، وَبانَتِ الدَّهْشَةُ عَلَيْهِ مُمْتَزِجَةً بِالقَلَقِ ، وَأمَرَ الجَميعَ بِالرَّحيلِ وَمُغادَرَةِ القَصْرِ بِاسْتِثْناءِ وَزيرِهِ المُخْلِصِ .

رَحَلَ الجَميعُ ، وَبَقِيَ المَلِكُ مَعَ وَزيرِهِ يَتَدَبَّرانِ الأمْرَ .

سَأَلَ المَلِكُ : « ماذا أفْعَلُ ؟ ما رَأْيُكَ ، أيُّها الوَزيرُ ؟»

أجابَهُ الوَزيرُ : « يَجِبُ ، يا مَوْلايَ ، أنْ نَتَخَلَّصَ مِنْ هَذا العَبْدِ « مرجان » .»

« وَكَيْفَ يَتِمُّ ذَلِكَ ؟»

« أعطِني مُهْلَةً لِلتفكيرِ ، ولَعَلّني أكونُ في الصَّباحِ قدْ وَصلْتُ إلى تَدْبيرٍ .»

« حَسَنًا . إلى صباحِ الغَدِ .»

لَمْ يَغْمُضْ لِلْمَلِكِ جَفْنٌ ، وَلَمْ يَذُقْ طَعْمَ النَّوْمِ طولَ اللَّيْلِ ، إلى أن أشْرَقَ نورُ الصَّباحِ ، فَاسْتَدْعى الوَزيرَ في الحالِ .

دَخَلَ الوَزيرُ على المَلِكِ وَهُوَ يَكادُ يَطيرُ فَرَحًا ، فَقَدْ تَوَصَّلَ إلى خُطَّةٍ يَتَخَلَّصونَ بِها مِنَ العَبْدِ « مرجان » .

قالَ : « نُرْسِلُهُ ، يا مَوْلايَ ، إلى مَلِكِ بِلادِ الشَّمْسِ بِرِسالَةٍ ، وَنَأْمُرُهُ أنْ يَأتِيَنا بِرَدِّها . وَأنْتَ تَعْرِفُ ، يا مَوْلايَ ، وُعورَةَ الطَّريقِ وَخُطورَتَهُ ، وَقَسْوَةَ هذا المَلِكِ وَشِدَّتَهُ .. فَإذا نَجا « مرجان » مِنْ مَهالِكِ الطَّريقِ – فَلَنْ يَنْجُوَ مِنَ المَلِكِ وَبَطْشِهِ .»

وافَقَ المَلِكُ على فِكْرَةِ وَزيرِهِ ، وَأمَرَ بِاسْتِدْعاءِ « مرجان » في الحالِ .

دَخَلَ « مرجان » على المَلِكِ ، وَألْقى التَّحِيَّةَ وَالسَّلامَ ،

فَقالَ المَلِكُ : « « مرجان » ، أيُّها العَبْدُ المُخْلِصُ ، عِنْدي رِسالَةٌ هامَّةٌ ، أريدُها أنْ تَصِلَ إلى مَلِكِ بِلادِ الشَّمْسِ ، وَأنْ يَأتِيَني رَدُّها . وَلا أجِدُ فيمَنْ حَوْلي خَيْرًا مِنْكَ يَسْتَطيعُ أنْ يَقومَ بِهذِهِ المُهِمَّةِ الصَّعْبَةِ على أكْمَلِ وَجْهٍ .»

أجابَ « مرجان » ، العَبْدُ الَّذي لا يَقولُ أبَدًا « لا » :

« سَمْعًا وَطاعَةً ، يا مَوْلايَ .»

في صَباحِ اليَوْمِ التّالي ، كانَ « مرجان » مُمْتَطِيًا جَوادَهُ ، في طَريقِهِ إلى بِلادِ الشَّمْسِ ، وَمَعَهُ رِسالَةُ المَلِكِ .

كانَ الطَّريقُ وَعْرًا ، مَليئًا بِالحَيَواناتِ المُفْتَرِسَةِ ، وَلكِنَّ « مرجان » كانَ مُصَمِّمًا على تَوْصيلِ الرِّسالَةِ ، حَتّى لَوْ أدّى ذَلِكَ إلى هَلاكِهِ .

اِسْتَطاعَ « مرجان » أنْ يَقْطَعَ نِصْفَ الطَّريقِ بِصُعوبَةٍ شَديدَةٍ ، وَكانَ مُرْهَقًا لِلْغايَةِ ، يَنْبَثِقُ الدَّمُ مِنْ قَدَمَيْهِ وَيَدَيْهِ ، وَيَسيلُ مِنْ أجْزاءٍ كَثيرَةٍ مِنْ جِسْمِهِ ؛ فَقَدْ كانَتْ هُناكَ صُخورٌ قاسِيَةٌ ، عَلَيْهِ أنْ يَتَسَلَّقَها ، وَذِئابٌ شَرِسَةٌ ، عَلَيْهِ أنْ يُحارِبَها . وَفي الوَقْتِ نَفْسِهِ كانَ الجوعُ الشَّديدُ يَقْرُصُ



أمْعاءَهُ ، وَالبَرْدُ يَلْسَعُ جَسَدَهُ ؛ فَمَلابِسُهُ تَمَزَّقَتْ ، وَزادُهُ نَفِدَ ؛ فَسَقَطَ مَغْشِيًّا عَلَيْهِ !

لَمْ يَدْرِ « مرجان » كَمْ مِنَ الوَقْتِ مَضى عَلَيْهِ وَهُوَ في هَذِهِ الحالِ السَّيِّئَةِ ، وَلَكِنَّهُ عِنْدَما فَتَحَ عَيْنَيْهِ وَجَدَ نَفْسَهُ في كَهْفٍ في بَطْنِ الجَبَلِ ، وَبِجوارِهِ رَجُلٌ عَجوزٌ يُضَمِّدُ جِراحَهُ ، وَيُطْعِمُهُ في فَمِهِ ، وَ يَصُبُّ الماءَ في حَلْقِهِ .

لَبِثَ « مرجان » يُصارِعُ المَوْتَ ، وَالمَوْتُ يُصارِعُهُ ، وَبِجِوارِهِ هَذا العَجوزُ الطَّيِّبُ يُداويهِ وَ يُساعِدُهُ – حَتّى اسْتَرَدَّ صِحَّتَهُ وَ وَعْيَهُ ، وَ اسْتَطاعَ النُّهوضَ مِنْ فِراشِهِ .

كانَ « مرجان » يَشْعُرُ بِالامْتِنانِ الشَّديدِ لِهَذا العَجوزِ ، وَ لِذَلِكَ أرادَ أنْ يَجْزِيَهُ عَمّا قَدَّمَهُ لَهُ مِنْ مَعْروفٍ ، فَسَأَلَهُ : « قُلْ لي ، أَيُّها العَجوزُ الطَّيِّبُ ، ماذا أَفْعَلُ لأُكافِئَكَ عَلى حُسْنِ صَنيعِكَ ؟ سَأَفْعَلُ أيَّ شَيْءٍ تَطْلُبُهُ لأَجْزِيَكَ عَنْ إحْسانِكَ الجَميلِ . »

أجابَهُ العَجوزُ : « لا شَيْءَ ، يا بُنَيَّ . لَقَدْ بَعَثَني اللهُ إِلَيْكَ لأُنْقِذَكَ مِنَ المَوْتِ . قُصَّ عَلَيَّ حِكايَتَكَ . ما الَّذي جاءَ

بكَ إلى هذا المكانِ ؟»

قصَّ « مرجان » على العَجوزِ حِكايَتَهُ ، وَأخبَرَهُ بِأمْرِ الرِّسالَةِ ؛ فَأشْفَقَ عَلَيْهِ العَجوزُ . وَحَتّى لا يَسْتَكْمِلَ « مرجان » طَريقَهُ ، وَيَهْلِكَ حَتْمًا ، قالَ لَهُ : « أنا مَلِكُ بِلادِ الشَّمْسِ . أعْطِني الرِّسالَةَ لأكْتُبَ لَكَ الرَّدَّ . »

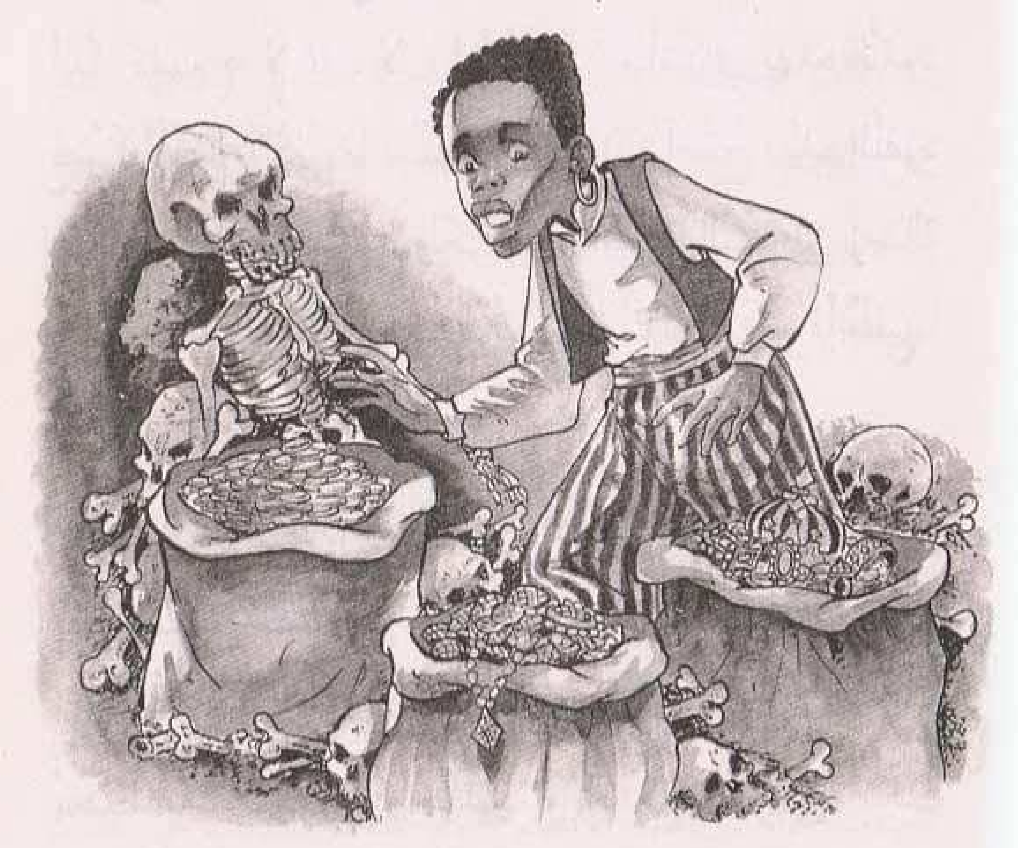
كادَتِ الدَّهْشَةُ تَذْهَبُ بِعَقْلِ « مرجان » ، وَكادَ يَطيرُ مِنَ السَّعادَةِ ؛ فَقَدْ أدْرَكَ أخيراً غايَتَهُ ، وَحَقَّقَ لِمَلِكِهِ مُبْتَغاهُ ، فَأخْرَجَ الرِّسالَةَ مِنْ سُتْرَتِهِ ، وَسَلَّمَها لِلشَّيْخِ الَّذي كَتَبَ الرَّدَّ ، ثُمَّ طوى الرِّسالَةَ وَأعْطاها « لِمرجان » .

مَكَثَ « مرجان » مَعَ الشَّيْخِ يَوْمَيْنِ آخَرَيْنِ ، حَتّى يَتَعافى وَيَسْتَرِدَّ صِحَّتَهُ ، وَيَسْتَرِدَّ جَوادُهُ نَشاطَهُ وَقُوَّتَهُ . ثُمَّ شَكَرَ العَجوزَ عَلى حُسْنِ ضِيافَتِهِ ، وَعادَ مِنْ حَيْثُ أتى .

انْقَضَتْ أيّامٌ في طَريقِ العَوْدَةِ ، وَنالَ التَّعَبُ مِنْ « مرجان » ؛ فَجَلَسَ يَسْتَريحُ في ظِلِّ شَجَرَةٍ عَتيقَةٍ في مَكانٍ مَهْجورٍ ، وَإذا بِهِ يَسْتَيْقِظُ عَلى صَهيلِ جَوادِهِ ، وَيَنْظُرُ إلَيْهِ ، فَرَآهُ يَضْرِبُ الأرْضَ بِرِجْلَيْهِ ضَرْباً عَنيفًا ؛ فَقامَ « مرجان » إلَيْهِ ، لِيَسْتَطْلِعَ الخَبَرَ - فَوَجَدَ حَلْقَةً مَغْروسَةً

في باطِنِ الأرْضِ ، وَجَذَبَها بِقُوَّةٍ فَوَجَدَ تَحْتَها باباً يُؤَدّي إلى دِهْليزٍ . وَدَخَلَ مِنَ البابِ ، وَعَبَرَ الدِّهْليزَ ، وَلَمْ يَسْتَطِعْ أنْ يَتَمالَكَ نَفْسَهُ مِنْ هَوْلِ ما رَأى :

هُناكَ في رُكْنِ الغُرْفَةِ بَقايا أجْسادٍ آدَمِيَّةٍ ، وَكَثيرٌ مِنَ الأجْوِلَةِ . فَتَحَ « مرجان » أحَدَها فَوَجَدَهُ مَمْلوءاً بِالذَّهَبِ وَالفِضَّةِ ، وَفَتَحَ واحِداً آخَرَ فَوَجَدَ بِهِ نُقوداً ، وَوَجَدَ في الثّالِثِ حُلِيّاً وَمُجَوْهَراتٍ .



أخَذَ « مرجان » يَعْمَلُ بِجِدٍّ في إخْراجِ هَذِهِ الأجْولَةِ واحِداً بَعْدَ الآخَرِ حَتّى أخْرَجَها جَميعاً ، وَ قَدْ هَدَّهُ التَّعَبُ وَالنَّصَبُ ، فَجَلَسَ يُفَكِّرُ في الأمْرِ :

« لا بُدَّ أنَّ أفْرادَها قَدْ أغْلَقَ عَلَيْهِمُ البابُ فَلَمْ يَتَمَكَّنوا مِنَ الخُروجِ ، فَكانَ مَصيرُهُمُ الهَلاكَ . ماذا أفْعَلُ بِهَذِهِ النُّقودِ ؟ لَوْ عُدْتُ بِها إلى المَمْلَكَةِ سَيَأْخُذونَها مِنّي ، وَسَأَظَلُّ طَوالَ حَياتي العَبْدَ « مرجان » ، الَّذي لا يَقولُ أبَداً كَلِمَةَ « لا » . لا ، لَنْ أعودَ . سَأَشْتَري بِهَذِهِ النُّقودِ قَصْراً وَأرْضاً وَكُلَّ ما تَشْتَهيهِ نَفْسي . سَأُصْبِحُ بِهَذِهِ النُّقودِ مَلِكاً .. مَلِكَ نَفْسي . وَلَكِنْ ماذا أفْعَلُ بِالرَّدِّ عَلى رِسالَةِ المَلِكِ ؟ سَأحْتَفِظُ بِها ؛ فَرُبَّما تَقابَلْنا ذاتَ يَوْمٍ فَأُعْطيها إلَيْهِ . »

اِشْتَرى « مرجان » قِطْعَةً مِنَ الأرْضِ بِجِوارِ النَّهْرِ ، وَبَنى بِها قَصْراً فَخْماً ، تُحيطُ بِهِ الحَدائِقُ المُمْتَلِئَةُ بِالأشْجارِ الباسِقَةِ ، وَالزُّروعِ النّاضِرَةِ ، وَالزُّهورِ اليانِعَةِ . وَعاشَ هانِئاً ، يُحيطُ بِهِ الكَثيرُ مِنَ الحاشِيَةِ وَالخَدَمِ ، يَخْدِمونَهُ بِحُبٍّ

وَإخْلاصٍ ، وَهُوَ يُغْدِقُ عَلَيْهِمْ مِمّا أعْطاهُ اللهُ ، وَيُعامِلُهُمْ مُعامَلَةً طَيِّبَةً .

مَرَّتِ الأعْوامُ ، واعْتَقَدَ الجَميعُ في المَمْلَكَةِ أنَّ « مرجان » قَدْ ماتَ . وَكَبُرَتِ الأميرَةُ وَازْدادَتْ جَمالاً وَسِحْراً وَبَهاءً ، وَتَوَدَّدَ إلَيْها الكَثيرونَ ، تَقَدَّمَ لِخِطْبَتِها الأمَراءُ وَالنُّبَلاءُ ، وَ لَكِنَّ المَلِكَ كانَ يَعْتَذِرُ لَهُمْ جَميعاً ؛ فَهُوَ لَمْ يَلْتَقِ بَعْدُ بِمَنْ هُوَ جَديرٌ بِابْنَتِهِ الأميرَةِ الجَميلَةِ .

وَذاتَ يَوْمٍ قامَ المَلِكُ وَ وَزيرُهُ بِرِحْلَةِ صَيْدٍ ، وابْتَعَدا كَثيراً عَنِ القَصْرِ ، وَبَدَأَ اللَّيْلُ يُسْدِلُ أسْتارَهُ ، وَ الظَّلامُ يُخَيِّمُ عَلى المَكانِ . وَكانَ التَّعَبُ قَدِ اسْتَبَدَّ بِهِما ؛ فَقَرَّرا أنْ يَسْتَريحا في أوَّلِ مَكانٍ يَجِدانِهِ .

رَأى الوَزيرُ مِنْ بَعيدٍ أنْوارَ قَصْرِ العَبْدِ « مرجان » ، وَهُوَ لا يَعْرِفُ عَنْهُ شَيْئًا ، فَطَلَبَ مِنَ المَلِكِ أنْ يَسْعَيا إلى ذَلِكَ القَصْرِ ، وَيَطْرُقا بابَهُ ، فَلَعَلَّ صاحِبَهُ يَسْتَضيفُهُما .

في ذَلِكَ الوَقْتِ كانَ « مرجان » العَبْدُ الأسْوَدُ قَدْ تَغَيَّرَ تَماماً عَنْ ذي قَبْلُ ؛ فَفي يَوْمٍ كانَ يَسْتَحِمُّ في النَّهْرِ

فَأمْسَكَ بِسَمَكَةٍ ذَهَبِيَّةٍ رائِعَةٍ ، وَ دُهِشَ عِنْدَما وَجَدَها تَتَحَدَّثُ إِلَيْهِ ، وَتَطْلُبُ مِنْهُ أَنْ يَتْرُكَها لِحالِ سَبيلِها ، وَيَتَمَنّى أُمْنِيَّةً يُريدُها ، وَسَتُحَقِّقُها لَهُ في الحالِ .

اِسْتَجابَ «« مرجان »» لِرَغْبَتِها ، وَطَلَبَ مِنْها أَنْ تَكونَ بَشَرَتُهُ بَيْضاءَ ، وَعِنْدَما خَرَجَ مِنَ النَّهْرِ كانَ « مرجان » أَبْيَضَ اللَّوْنِ ، ما عَدا عَلامَةً سَوْداءَ في أَحَدِ كَتِفَيْهِ .

مَرَّ المَلِكُ وَ وَزيرُهُ بِحَدائِقِ القَصْرِ ، وَ راحا يَتَطَلَّعانِ إِلى جَمالِها وَخُضْرَتِها ، وَيَقْطُفانِ مِنْ ثِمارِها ، وَ يَشْرَبانِ مِنْ عُيونِها ، وَ يَتَساءَلانِ مَنْ صاحِبُ هَذا القَصْرِ الَّذي يَفوقُ قَصْرَ المَلِكِ رَوْعَةً وَجَمالاً ؟

وَصَلَ المَلِكُ وَ الوَزيرُ إِلى القَصْرِ وَطَلَبا مُقابَلَةَ صاحِبِهِ . اِسْتَقْبَلَهُما « مرجان » أَحْسَنَ اسْتِقْبالٍ ، وَأَكْرَمَهُما أَبْلَغَ إِكْرامٍ ، واسْتَضافَهُما في قَصْرِهِ حَتّى الصَّباحِ .

أَعْجَبَ المَلِكُ بِشَهامَةِ صاحِبِ القَصْرِ وَرُجولَتِهِ وَكَرَمِهِ ، وَلَمْ يَتَعَرَّفْ عَلَيْهِ . وَقالَ في نَفْسِهِ لِنَفْسِهِ إِنَّهُ لَنْ يَجِدَ خَيْراً مِنْهُ لِيُزَوِّجَهُ الأَميرَةَ ابْنَتَهُ ؛ فَقَرَّرَ أَنْ يَعْرِضَ عَلَيْهِ الأَمْرَ .

اِنْتَظَرَ المَلِكُ حَتّى مَوْعِدِ رَحيلِهِ ، وَطَلَبَ مِنْ صاحِبِ القَصْرِ أَنْ يَنْفَرِدَ بِهِ ؛ لِيُطْلِعَهُ عَلى أَمْرٍ ذي بالٍ .

وَعِنْدَما خَرَجَ الجَميعُ قالَ المَلِكُ : « اِسْمَعْ يا بُنَيَّ ، إِنَّني مَكَثْتُ في قَصْرِكَ لَيْلَةً وَبِضْعَ ساعاتٍ ، وَلَكِنَّها كافِيَةٌ لأَحْكُمَ عَلَيْكَ . فَوَاللهِ ؛ إِنَّني لَمْ أَرَ مَنْ هُوَ أَحْسَنُ مِنْكَ خُلُقًا ، وَأَكْثَرُ مِنْكَ ثَراءً . لِذَلِكَ أَعْرِضُ عَلَيْكَ الزَّواجَ مِنِ ابْنَتي الأَميرَةِ الجَميلَةِ . »

كانَ « مرجان » يَعْرِفُ هَذِهِ الأَميرَةَ الجَميلَةَ مَعْرِفَةً دَقيقَةً؛ فَقَدْ تَعَرَّفَ عَلى المَلِكِ وَالوَزيرِ مِنْ أَوَّلِ وَهْلَةٍ . وَلَكِنَّهُ كَتَمَ هَذِهِ المَعْرِفَةَ في نَفْسِهِ . إِنَّهُ لَمْ يَرَ الأَميرَةَ مُنْذُ أَنْ كانَتْ طِفْلَةً صَغيرَةً في المَهْدِ ، وَ لَكِنَّهُ كانَ يَسْمَعُ أَصْداءَ ما يَقولُهُ النّاسُ عَنْها ، وَ يَتَطَلَّعُ إِلى أَخْبارِها ؛ لِذَلِكَ وافَقَ في الحالِ ، وَ لَكِنَّهُ قَرَّرَ عَدَمَ كَشْفِ شَخْصِيَّتِهِ حَتّى يَتِمَّ الزَّواجُ .

حَدَّدَ المَلِكُ وَ « مرجان » مَوْعِداً لِلزَّواجِ ، وَقَرَّرا أَنْ يَكونَ في المَمْلَكَةِ ، ثُمَّ تَأْتي الأَميرَةُ لِتَعيشَ مَعَ زَوْجِها في قَصْرِهِ .

بَدأتِ المَمْلَكَةُ تَسْتَعِدُّ لِلزَّواجِ الَّذي طالَ انْتِظارُهُ ؛ فَنُصِبَتِ السُّرادِقاتُ ، وَرُفِعَتِ الرّاياتُ ، وَعُلِّقَتِ الزّيناتُ ، وَأَصْبَحَ النّاسُ وَلا شُغْلَ لَهُمْ غَيْرُ هَذا الزِّفافِ ، يُبْدِئونَ الحَديثَ فيهِ وَ يُعيدونَ ، وَيَعْمَلونَ بِهِمَّةٍ وَنَشاطٍ لإتْمامِهِ : فَجَماعَةٌ تُجَهِّزُ الخُبْزَ ، وَتَصْنَعُ الحَلْوى وَ الفَطائِرَ ، وَثانِيَةٌ تُقيمُ المَوائِدَ ، وَتَدْعو إلَيْها النّاسَ ، وَ تُقَدِّمُ أَفْضَلَ أَنْواعِ الطَّعامِ وَأَشْهاها ، وَثالِثَةٌ تَحيكُ لِلأَميرَةِ أَجْمَلَ الثِّيابِ وَأَبْهاها ، وَرابِعَةٌ تَخْتارُ لَها أَغْلى الجَواهِرِ وَأَصْفاها . الكُلُّ يَعْمَلُ في خِفَّةٍ وَنَشاطٍ ، وَفي سَعادَةٍ وَ سُرورٍ ، حَتّى جاءَ المَوْعِدُ المُرْتَقَبُ – يَوْمُ الزِّفافِ .

وَكانَتْ لَيْلَةُ الزِّفافِ لَيْلَةً باهِرَةً لَمْ يُشاهِدِ النّاسُ مِثْلَها ، بَلْ قَرَأوا عَنْها في الكُتُبِ ، وَسَمِعوا عَنْها مِنَ الرُّواةِ ؛ فَهِيَ لَيْلَةٌ مِنَ الخَيالِ وَالأَحْلامِ ، لَنْ يَنْساها النّاسُ أَبَداً ، وَسَتَحْكي عَنْها الأَجْيالُ تِلْوَ الأَجْيالِ .

كانَتِ الأَميرَةُ في حُسْنِها وَدَلالِها زَهْرَةً يانِعَةً باسِمَةً مِنْ زُهورِ البُسْتانِ ، بَلْ حورِيَّةً مِنْ حورِ الجِنانِ ، لا يَتَأتّى

وَصْفُها ، لَمْ تَرَ مِثْلَها عَيْنٌ مِنْ قَبْلُ ، وَلَمْ تَسْمَعْ عَنْ جَمالِها أُذُنٌ .

أَمَرَ المَلِكُ بِغَسْلِ الشَّوارِعِ ، وَ نَثْرِ الزُّهورِ في كُلِّ مَكانٍ ؛ فَكانَ عَبيرُ المَمْلَكَةِ يَشُمُّهُ النّاسُ عَلى بُعْدِ أَمْيالٍ وَ أَمْيالٍ .

وَانْتَهى العُرْسُ في سَلامٍ ، وَمَضى مَوْكِبُ الأَميرَةِ إلى قَصْرِ العَبْدِ « مرجان » ، في صُحْبَةِ المَلِكِ وَالأُمَراءِ وَالنُّبَلاءِ وَعِلْيَةِ القَوْمِ . تَعْزِفُ الموسيقى طولَ الطَّريقِ ، وَتَدُقُّ الطُّبولُ ، وَتَرْقُصُ الخُيولُ ، وَيَشْدو الجَميعُ بِالغِناءِ ، حَتّى وَصَلَ المَوْكِبُ إلى قَصْرِ « مرجان » .

وَقَفَ المَلِكُ مَعَ ابْنَتِهِ عِنْدَ القَصْرِ لِيُوَدِّعَها ، وَلَكِنَّ « مرجان » طَلَبَ مِنْهُ أَنْ يَنْفَرِدَ بِهِ قَليلاً ؛ لأَنَّ لَدَيْهِ شَيْئاً هامّاً يُريدُ أَنْ يُطْلِعَهُ عَلَيْهِ .

صَعِدَتِ الأَميرَةُ إلى حُجْرَتِها ، وَانْفَرَدَ « مرجان » بِالمَلِكِ ، فَبادَرَهُ قائِلا : « لا أَعْرِفُ مِنْ أَيْنَ أَبْدأُ الحَديثَ .. وَلَكِنْ يَجِبُ أَنْ تَعْرِفَ الآنَ مَنْ أَنا .. أَنا العَبْدُ « مرجان » ، الَّذي سَعَيْتَ إلى التَّخَلُّصِ مِنْهُ مُنْذُ سَنَواتٍ

بَعيدَةٍ .»

ضَحِكَ المَلِكُ ؛ ظَنا مِنْهُ أنَّها دُعابَةٌ مِنْ « مرجان » ، وَلَكِنَّهُ عِنْدَما رَأى عَلاماتِ الجِدِّ عَلى وَجْهِ « مرجان » قالَ لَهُ : « كَيْفَ ذَلِكَ ؟ ‹‹ مرجان ›› كانَ عَبْداً أسْوَدَ . ‹‹ مرجان ›› هَلَكَ وماتَ مُنْذُ زَمَنٍ بَعيدٍ .»

كَشَفَ « مرجان » عَنْ كَتِفِهِ ، وَأظْهَرَ العَلامَةَ السَّوْداءَ ، قائِلا لِلْمَلِكِ : « هَذا ما تَبَقّى مِنْ لَوْنِ ‹‹ مرجان ›› الأسْوَدِ .»

وَعِنْدَما وَجَدَ المَلِكَ مَذْهولا لا يُصَدِّقُ - أخْرَجَ رَدَّ الرِّسالَةِ مِنْ جَيْبِهِ ، وَأعْطاها لِلْمَلِكِ قائِلا : « هَذا هُوَ الرَّدُّ عَلى رِسالَتِكَ ، كَتَبَهُ مَلِكُ بِلادِ الشَّمْسِ .»

وَلَمّا كانَ الوَزيرُ وَالمَلِكُ و « مرجان » هُمُ الأشْخاصَ الَّذينَ يَعْرِفونَ بِأمْرِ هَذِهِ الرِّسالَةِ ، وَلا يَعْرِفُ بِأمْرِها أحَدٌ غَيْرُهُمْ - بَدَأ المَلِكُ يُصَدِّقُ الأمْرَ ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَغْضَبْ ؛ « فَمرجان » رَجُلٌ جَديرٌ بِابْنَتِهِ ؛ فَهُوَ كَريمٌ ، وَشُجاعٌ ، وَشَهْمٌ ، وَثَرِيٌّ . وَلَكِنَّ المُفاجَأةَ كانَتْ بالِغَةً مُذْهِلَةً ، لَمْ

يَكُنِ المَلِكُ يَتَوَقَّعُها أبَداً ؛ فَألْجَمَتْ لِسانَهُ ، وَلَمْ يَسْتَطِعْ أنْ يَتَفَوَّهَ بِكَلِمَةٍ ، بَلْ مَدَّ يَدَهُ في هُدوءٍ إلى « مرجان » وَصافَحَهُ ، وَخَرَجَ .

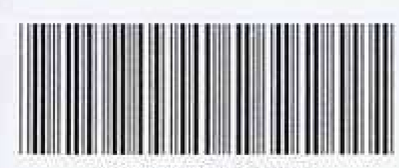
وَفي طَريقِهِ إلى الحَديقَةِ فَتَحَ المَلِكُ الرِّسالَةَ ، وَ وَجَدَ هَذِهِ الكَلِماتِ : « اللهُ يَفْعَلُ ما يُريدُ ، فَهُوَ عَلّامُ الغُيوبِ .»



الينابيع تتفجر من التراث العربي الأصيل، ومن السير الشعبية الغنيَّة، ومن الحكايات الشعبية العربيَّة؛ لتصوّر نماذج مضيئة من تراثنا، وتعرض قيمًا مشرقة في حياتنا: تمزج بين الجد، والفكاهة في لغة هادئة راقية: لا تعلو فتعوق القارئ وتصده، ولا تسفُّ فتهبط بذوقه ومستواه، وإنما تمتع وجدانه وقلبه، وتثري فكره وعقله.

الينابيع

١- سيف الإحسان وقصص أخرى
٢- حبّات العقد وقصص أخرى
٣- عنترة بن شدّاد: مولد البطل
٤- عنترة بن شدّاد: عبلة والصبي المقاتل
٥- الباحث عن الحظ وقصص أخرى
٦- عنترة بن شدّاد: السيف والكلمات
٧- عنترة بن شدّاد: يوم عنترة
٨- رحلة السندباد المجهولة
٩- الشعرة الذهبيّة
١٠- مشورة قصير وقصص أخرى



01R160704

مكتبة لبنان ناشرون

الشركة المصريّة العالميّة للنشر - لونجمان